

المركز الاستشاري للدراسات والنوڤ
The Consultative Center for Studies and Documentation

**المجموعات الإثنية في الكيان الصهيوني
بذورها وتأثيراتها الراهنة**

19

سلسلة غير دورية تُعنى بالشؤون والقضايا السياسية والإنمائية

مجموعات
إثنية
في
الكيان
الصهيوني

المجموعات الإثنية في الكيان الصهيوني
جذورها وتأثيراتها الراهنة

**المجموعات الإثنية في الكيان الصهيوني
جذورها وتأثيراتها الراهنة**



المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

The Consultative Center for Studies and Documentation

مؤسسة علمية متخصصة تُعنى بحقلي الأبحاث والمعلومات

مقاربات: سلسلة بحثية غير دورية، تتضمن أبحاثاً وتقارير مركزة، تتناول شؤوناً وقضايا مختلفة، كما تتابع التطورات والمستجدات الرئيسية على الصعد المحليّة والإقليمية والدوليّة.

العنوان: المجموعات الإثنية في الكيان الصهيوني جذورها وتأثيراتها الراهنة

إعداد: مديرية الدراسات الاستراتيجية

الباحث: د. محمود العلي

الناشر: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

العدد: التاسع عشر

الطبعة: الأولى

القياس: ٢٤/١٥

تاريخ النشر: نيسان ٢٠١٣ الموافق جمادى الأولى ١٤٣٤هـ..

حقوق الطبع محفوظة

العنوان: بئر حسن - خلف الفاتري وورلد - أوتوستراد الأسد
فوق صيدلية سبيتي - بناية الإنماء غروب الطابق الأول.

هاتف: ٠١/٨٣٦٦١٠

فاكس: ٠١/٨٣٦٦١١

خليوي: ٠٣/٨٣٣٤٣٨

البريد الإلكتروني:

dirasat@dirasat.net

www.dirasat.net

الآراء الواردة في هذه السلسلة لا تُعبّر بالضرورة عن آراء

المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

ثبت المحتويات

٧ مقدمة

الفصل الأول

صيرورة المجموعات الصهيونية في التركيب الإسرائيلي

١١ في فلسطين المحتلة

الفصل الثاني

٣٥ مآل القوة لكل مجموعة على الصعد المختلفة

الفصل الثالث

٦٩ آفاق المستقبل في ما يتعلّق بإثنيات الكيان الصهيوني

٨٩ اليهود الروس في الكيان الصهيوني

الفصل الرابع

١٢٣ المخطّطون الأوائل

مقدمة

إن التكوين السكاني للكيان الصهيوني موضوع مُعقد وشديد الأهمية والخطورة في آن ويحتاج إلى قراءة ترصد كيفية تشكيل هذا الكيان والتحوّلات التي فرضها المستوطنون اليهود على فلسطين العربية، ذلك البلد الذي لم يعيش فيه أكثرهم إلا عبر مشاريع استيطانية دافعها الأول العزلة عن الآخر لاعتبارات لها علاقة بالدين وخصوصية هذه الجماعات المتباينة عرقياً، ولتوفير ملاذ آمن من اضطهاد عاشوه لأسباب متعدّدة خارج الأرض التي استولوا عليها عُتوة. كما أن مفهوم الدراسات الإثنوغرافية يستند إلى حد كبير إلى متابعة التفاصيل المتعلقة بصيرورة الفئة المعنية من خلال دراسات ميدانية متخصصة تشكل فرعاً من فروع البحث الإثنوبولوجي. وفي ما يتعلق بدراستنا هذه فإننا سنعمد إلى قراءة معمّقة لما توفر من معطيات إثنوغرافية وسوسولوجية وأبحاث ومقالات مختصة للحالة التي يمثلها الكيان الصهيوني - هذا الكيان الهجين ذو الملامح المتعدّدة الجذور والغايات تعدّد الفئات السكانية المقيمة فيه - استناداً إلى أبعادها الدينية أو تجاربه المعيشية والتفاعلية السابقة على قدومها للعيش على أرض فلسطين التي اعتبرتها هذه الفئات المتنوعة وطناً موعوداً لها بغضّ النظر عن جذورها الوطنية ومنابعها العرقية وأصولها العنصرية المتباينة.

لقد وضع الدكتور جوروفتسن، وهو عالم يهودي كان يشغل منصب أستاذ الأجناس في الجامعة العبرية وعميد كلية الطب فيها، كتاباً أوضح فيه نتائج التحاليل المخبرية التي قام بها لسنوات على المهاجرين اليهود الذين وفدوا إلى «إسرائيل» من مختلف أنحاء العالم. كان القصد من هذه التحاليل هو فحص دماء هؤلاء المهاجرين لبيان ما إذا كان اليهود جنساً واحداً له فصيلة واحدة من الدم، وذلك باستخدام إمكانات العلم الحديث الذي استطاع أن

يعاين فصائل الدم لكل شعب من الشعوب وأن يرجع هذه الفصائل إلى بعضها البعض للدلالة على القربى أو التباعد بين الشعوب والأجناس، والذي برهن على أن الدم موروث وأن كل شعب من الشعوب القديمة له فصيلة من الدم ورثها عن سلالته. وقد أوضحت هذه التجارب التي سجلها في كتابه أن اليهود ليسوا شعباً بل هم طائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الناس اعتنقوا ديناً واحداً، وأن نسبة ضئيلة جداً من يهود الأقطار العربية هم من نسل يعقوب وإسحاق، وأن يهود أوروبا الشرقية لا ينتمون إطلاقاً إلى الفصيلة اليهودية، وبذلك تسقط الخرافة الصهيونية التي تزعم بأن يهود العالم اليوم ينتمون إلى جنس، أو عرق واحد^(١).

ومع بروز القوميات في أوروبا نشطت أوساط ومنظمات يهودية في القرن التاسع عشر في الترويج لليهودية على أنها دين وقومية في آن، وراحت تبحث عن اليهود في كل بلدان العالم لتبث فيهم بذور هذه الفكرة وتبعث فيهم روح «إسرائيل» ومجدها الغابر مستندة في ذلك إلى التلمود. وقد استتبع هذا بطبيعة الحال تنكر اليهود لولائهم للبلدان والأقطار التي يقيمون فيها ولقومياتها، وإعطاء ولائهم كاملاً لقوميتهم الجديدة ولدولتهم اليهودية الموعودة، ومن هنا نشأت المشكلة اليهودية في كل بلد يعيش فيه أناس يدينون بالديانة اليهودية.^(٢)

ولكن حصل خلاف بين الجماعات اليهودية في نهايات القرن التاسع عشر يتعلق بهويتهم ورويتهم للمستقبل؛ وهذا الخلاف لا يزال مستمراً إلى الآن حول رويتهم لهويتهم وطبيعة هذه الهوية. وتواجه «إسرائيل» العضلات الناجمة عن تعدد الجنسيات والثقافات التي تضم أقليات من منابع ثقافية ولغوية ودينية وعرقية مختلفة^(٣). ومنذ الفترة المبكرة في تاريخ الصهيونية هدد الجدل حول وضع الدين وحدة المجتمع اليهودي وتطوير مؤسسات الدولة

(١) رفعت سيد أحمد، الصهيونية تؤسس لعالم أكثر شراً!! صحيفة العرب اللندنية ٢٠٠٣/٢/٥.

(٢) م.ن.

(٣) Guy Ben-Porat، Multicultural Realities، jewish virtual library ، copy right

.the American- Israeli cooperation inenterprise، August 2009

ولذلك اتفق الزعماء العلمانيون والدينيون على سلسلة من التنازلات، وتأجيل القضايا الأكثر إثارة للجدل^(٤). ومن الجلي أن النزاعات حول دور الدين في المجتمع كانت، ولا تزال، جزءاً لا يتجزأ من المشروع الصهيوني. فمنذ تأسيس دولة «إسرائيل» في عام ١٩٤٨ مثلت القوة القسرية التي تحتكرها المجموعات الأرثوذكسية، فيما يتعلق بالسياسة العامة ومسائل الأحوال الشخصية، واحدة من مفاصل الخلاف الرئيسية^(٥). وبالتالي فإن من اليهود من عرّف الهوية على أساس ديني محض ومنهم من عرّفها على أساس ديني - قومي وعرّفها آخرون على أساس قومي فقط. هذا مع العلم أن المواطنة داخل دولة «إسرائيل» لا تنطبق فحسب على اليهود على أساس الانتماء الديني، وإنما أيضاً على كل من بقي من العرب في فلسطين عند إعلان الكيان الصهيوني، مسلمين ومسيحيين، حيث اعتبر هؤلاء العرب في عداد المواطنين الذين يتمتعون بالجنسية الإسرائيلية. بيد أن «إسرائيل» لا تعترف قانوناً إلا باليهود فقط كقومية، أما باقي المجموعات والأقليات التي تعيش فيها، أكانوا عرباً يعيشون في فلسطين منذ ما قبل إعلان الكيان الصهيوني، أم أجنب وافدين للعمل، كالعمال المهاجرين ومعظمهم من رومانيا، والذين يشكلون ٦٠٪ من مجموع الأجنب في «إسرائيل» (مع العلم أن عدد اليهود من أصل روماني الموجودين في الكيان الصهيوني يبلغ ٢٥٠,٠٠٠)^(٦) فهؤلاء جميعهم مقيمون بشكل مؤقت مرتبط بصيرورة الكيان والحاجة إلى فئات معيّنة على الصعيد الخدماتي. وإذا ما اعتُبر بعضهم مواطنين كفلسطينيين ٤٨ فهم مواطنون من الدرجة الثانية. ويظهر من

(٤) Loc. cit.

(٥) Adam S. Ferziger, 'RELIGION FOR THE SECULAR', 'The new Israeli rabbinat', Journal of Modern Jewish Studies, Vol 7, No. 1 March 2008, pp. 67-90 ISSN 1472-5886 print/ISSN 1472-5894 online © 2008 Taylor & Francis
http://www.tandf.co.uk/journals DOI: 10.1080/14725880701859928, p:67

(٦) إيليت هشاحر ونيرة هراتي، العمال الأجنب واللغة في «إسرائيل»، في اللغة والهوية في «إسرائيل»، تحرير د محمد عمارة، مدار، المركز الفلسطيني للدراسات، مؤسسة الأيام - رام الله فلسطين، ٢٠٠٢، ص: ٢٢٠.

خلال التمايز في بنية التشكيلة الإثنوغرافية اليهودية أن التناقض في ما يتعلق ببنية الكيان الصهيوني على صعيد الإثنوغرافيا اليهودية يركز على محورين أولهما التناقض بين المتدينين واللامتدنيين أي العلمانيين، وثانيهما التمايز بين السفارديم أو اليهود الشرقيين والإشكناز أو اليهود الغربيين.

وسوف نتناول في هذه الدراسة بداية تشكيل الكيان الصهيوني وتطور فاعلية القوى الإثنية المختلفة المكوّنة له على مدى الأعوام الأربعة والستين الماضية، بناء على أصولها الوطنية، وكيفية تطور آفاق علاقة المكوّنات المختلفة بعضها ببعض، منطلقين من آلية تجميع الصهاينة في فلسطين بشكل موجز. بعدها سنتناول مآل القوّة لكل من المجموعات الصهيونية، ثم آفاق المستقبل في ما يتعلق بالعلاقة بين «الإثنيات» المهيمنة وفعاليتها. غير أننا لن نتناول وضع الفلسطينيين العرب داخل «إسرائيل» في سياق بحثنا إلا في الختام حين نتناول البنى الإثنولوجية للكيان الصهيوني قياساً على وزن الفلسطينيين وحجمهم باعتبارهم كتلة سكانية مستقلة خارج بنية المجتمع الصهيوني. ولذا سنعمد إلى تناول أربعة محاور تتعلق بالإثنيات المكوّنة للكيان الصهيوني وذلك على النحو التالي:

١- صيرورة المجموعات الصهيونية في التركيب الإسرائيلي في فلسطين المحتلة.

٢- مآل القوة لكل مجموعة على الصعد المختلفة.

• القوة السياسية لكل مجموعة.

• طبيعة القوة الفاعلة عسكرياً.

• القوة الاقتصادية والمالية.

٣- آفاق المستقبل في ما يتعلق بإثنيات الكيان الصهيوني.

٤- اليهود الروس في الكيان الصهيوني.

صيرورة المجموعات الصهيونية
في التركيب الإسرائيلي
في فلسطين المحتلة

صيرورة المجموعات الصهيونية في التركيب الإسرائيلي في فلسطين المحتلة

إن المتتبع لاتجاهات اليهود خارج فلسطين قبل القرن التاسع عشر يلاحظ أن الفكرة الصهيونية في إقامة دولة بفلسطين بدأت من الخارج مع الحاخام يهودا الكلعي الذي عاش في يوغسلافيا بين عامي ١٧٩٨-١٨٧٨، والحاخام تسفس هيرش كاليشر صاحب كتاب «البحث عن صهيون» الذي عاش في تورين بألمانيا بين عامي ١٧٩٥-١٨٤٧، وموشيه هش الذي عاش في ألمانيا ما بين عامي ١٨١٢-١٨٧٥ وأصدر كتاب «روما والقدس» الذي دعا فيه بوضوح لإقامة دولة يهودية، وهو ما تناوله الباحث صبري جريس بالتفصيل في كتابه تاريخ الصهيونية بين عامي ١٨٦٢ و١٩١٧ الصادر عن مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٧٧. وكان أول من شجّع اليهود على الاستقرار في فلسطين نابليون بونابرت عندما غزا فلسطين وبلاد الشام بعد غزوه مصر عام ١٧٩٨.

ولقد بدأ التغلغل اليهودي في فلسطين والعمل على شراء الأراضي في ظلّ حماية الامتيازات الأجنبية التي وفرتها السلطات التي حكمت فلسطين. وترقى البدايات الأولى لشراء اليهود أراضي في فلسطين إلى عام ١٨٥٥ على يد السير موشي مونتفيوري. وكان ذلك زمن السلطان عبد الحميد (١٨٣٩-١٨٦١)، الذي أصدر فرماناً سمح بموجبة لمنتفيوري بشراء أرض في فلسطين، فاشترى أرضاً بالقرب من القدس أقيم عليها في ما بعد الحي اليهودي المعروف بحي مونتفيوري. وفي عام ١٨٧٠ أنشأت جمعية الأليانس الإسرائيلية مستوطنة «مكفية إسرائيل» على مساحة من الأرض قُدّرت بحوالي ٢٦٠٠ دونم استأجرت من الحكومة العثمانية لمدة ٩٩ سنة

من أراضي قرية يازور القريبة من مدينة يافا لصالح وزير العدل الفرنسي كريمة شاولنرتنر.

وتفيد التقارير المختلفة أن «فلسطين كان يسكنها عام ١٨٥٠ زهاء ٣٥٠ ألف نسمة، وكان حوالي ثلثي السكان يعيشون في ٦٥٧ قرية، وحوالي الثلث في ١٣ مدينة أو بلدة، وكان المسلمون يشكلون ٨٥٪ من السكان، بينما شكل المسيحيون ١١٪ فقط من عدد السكان، وتركزوا في مدن القدس وبيت لحم ويافا واللد والرملة وحيفا وعكا والناصرية وقرى المنطقة الجبلية المحيطة بالقدس، وفي الجليل الأدنى والأعلى. وكان أقل من ٤٪ من سكان البلاد من اليهود الذين عاش جلهم تقريباً في القدس والخليل وصفد وطبريا.^(٧) وقد اتسمت تلك السنوات بالنزاعات الداخلية والمواجهات العسكرية بين الزعماء المحليين والسلطات العثمانية. أما المفكر الفرنسي روجيه غارودي فيشير إلى أن «عدد اليهود لم يتجاوز الـ ١٢ ألف نسمة، من مجموع السكان البالغ عددهم ٣٥٠ ألف نسمة عام ١٨٨٢.^(٨) وبعد ذلك بسنوات قليلة أي في سنتي ١٨٦٥ و ١٨٦٦ أصيبت فلسطين بخسائر فادحة في السكان من جراء وباء الكوليرا.

لقد سعى اليهود منذ القرن الماضي إلى محاولة تهويد مدينة القدس، وتركزت هجراتهم عليها لاعتقادهم بأهميتها الدينية لديهم. فعقب المذابح التي تعرّض لها اليهود في روسيا عامي ١٨٨١ و ١٨٨٢ بسبب اتهامهم باغتيال القيصر الروسي ألكسندر الثاني، هاجر عدد من اليهود الروس إلى فلسطين واستقروا بصفة خاصة في طبريا والقدس وصفد. ثم إن المطامع الأوروبية المتعددة الأشكال في الأرض المقدسة، وزيادة الاتصالات

(٧) إبراهيم عوض الله الفقيه، صوبا: إحدى قرى فلسطين المدمّرة عام ١٩٤٨ في بيت المقدس تاريخ وطن وحياة قرية، بإجازة من مديرية دائرة المطبوعات والنشر رقم ١٩٩٥/٩/٧٦٧. تاريخ ١٩/٩/١٩٩٥م الطبعة الثانية ٢٣/٠٢/٢٠٠٥هـ، حقوق الطبع © ٢٠١٢ صوبا.

جميع الحقوق محفوظة www.subaa.com

(٨) روجيه غارودي، ملف «إسرائيل»، نقلته إلى العربية فئة من المختصين بإشراف د. محمد ياسر شرف، دار الوثبة، دمشق، ص: ٣٣.

بفلسطين والمعرفة بها حفزت اليهود الأوروبيين ونمت اهتمامهم بها أيضاً إلى جانب المشاريع الاستعمارية الأوروبية (المسيحية وبالأخص البروتستانتية). وكانت فكرة الاستيطان في فلسطين قد بدأت تلوح في الأفق بعد ظهور حركة الإصلاح الديني على يد مارتن لوتر في أوروبا، حيث بدأ أصحاب المذهب البروتستانتى الجديد الترويج لفكرة تقضي بأن اليهود ليسوا جزءاً من النسيج الحضاري الغربي، لهم ما لغيرهم من الحقوق وعليهم ما عليهم من الواجبات، وإنما هم شعب الله المختار، وطنهم المقدس فلسطين، ويجب أن يعودوا إليه^(٩). كما كانت هناك مشروعات لبعض الفاعليات اليهودية، ومن ذلك مثلاً ما يدعى بـ«جمعية استثمار فلسطين» التي كان هدفها المباشر تأسيس «مستعمرة زراعية يهودية كبيرة» في فلسطين. أما هدفها النهائي فكان «إقامة دولة يهودية جديدة». وقد أدى ذلك إلى قيام أول محاولة يهودية كبيرة لتثبيت الأقدام في الأرض التي تم الحصول عليها حديثاً في فلسطين. فقد أسس الاتحاد الإسرائيلي سنة ١٨٧٠ مدرسة زراعية قرب يافا باسم «مكفية إسرائيل»، كما أسس يهود القدس سنة ١٨٧٨ أول مستعمرة زراعية هي «بتاح تكفا» التي تمّ التخلي عنها بالفعل سنة ١٨٨١. أما مجموعة الهجرة الثانية نحو فلسطين فقد انطلقت من روسيا القيصرية في كانون الثاني ١٩٠٤ نتيجة للمذابح التي ارتكبت ضدهم هنالك إثر هزيمة القيصر نقولا الثاني في المعركة مع اليابانيين، ومن أبرز المذابح واحدة تسمى مذبحه كيشينييف. وفي عام ١٩٠٥ غادر أوديسا الأوكرانية (وقد كانت أوكرانيا تتبع للإمبراطورية الروسية حتى عام ١٩١٧) إلى فلسطين ١٢٣٠ مهاجراً، وفي عام ١٩٠٦ غادر ٣٤٥٩ مهاجراً. وتراوح عدد المهاجرين بين عام ١٩٠٤ وبداية الحرب العالمية الأولى ما بين ٣٥ ألفاً و ٤٠ ألف مهاجر^(١٠). ويمكن إيراد مراحل هجرة اليهود إلى فلسطين المحتلة التي

(٩) عبد الوهاب المسيري، الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد

السادس، «الصهيونية» دراسات في القضية الفلسطينية. بيروت ١٩٩٥، ص: ٢٣٢.

(١٠) ماهر الشريف، محاولة أولية للتعرف على حيثيات العملية التاريخية لولادة الحزب

بدأت على شكل موجات على النحو التالي:

المرحلة الأولى: ١٨٨٢ - ١٩٠٣، وبلغ عدد اليهود المهاجرين إلى فلسطين ٢٥ ألف شخص أغلبهم من روسيا. إلا أن مشاريع هذه المرحلة لم تلق النجاح المطلوب بسبب عزوف اليهود أنفسهم عن الهجرة إلى فلسطين، وتفضيلهم التوجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية أو الانخراط في مجتمعاتهم. ومن أبرز نشاط هذه المرحلة اللورد شافتسبوري، واللورد بالمستون، ومونتفيوري. وكانت أفواج الهجرة إلى فلسطين التي بدأت في هذه المرحلة تعكس ظلالاً قائمة إذ كان لا يذهب إليها من اليهود إلا كبار السن الذين يرغبون في قضاء آخر أيامهم في القدس.

المرحلة الثانية: ١٩٠٤ - ١٩١٣، وبلغ عدد المهاجرين اليهود ٤٠ ألف مهاجر أغلبهم أيضاً من روسيا. وفي هذه المرحلة بدأ الاستيطان الفعلي في فلسطين، وأتت الموجات الأولى والثانية من أوروبا الشرقية وروسيا على وجه الخصوص. ومن أبرز نشاط هذه المرحلة لورنس أوليفانت، وروتشليد، وهرتزل. وفي هذه المرحلة بدأت المؤتمرات الصهيونية العالمية وأسست المنظمة الصهيونية العالمية.

المرحلة الثالثة: ١٩١٩ - ١٩٢٣، وبلغ عددهم ٢٥ ألف مهاجر جاؤوا من أوروبا الشرقية، ومعظمهم من روسيا ورومانيا وبولونيا، بالإضافة إلى أعداد صغيرة من لتوانيا وألمانيا والولايات المتحدة.

المرحلة الرابعة: وقد بدأت مع الانتداب البريطاني أي من سنة ١٩٢٤ حتى سنة ١٩٣١ وهي من أخطر المراحل، وتعتبر مقدمة لقيام دويلة «إسرائيل»، وقد بلغ عدد المهاجرين آنذاك ٨١ ألف مهاجر معظمهم من أبناء الطبقة الوسطى وأكثر من نصفهم من بولونيا. وقد أسسوا أكثر من ١٠٠ مستوطنة زراعية كان أغلبها في مناطق السهل الساحلي.

المرحلة الخامسة: وتمتد ما بين سنتي ١٩٣٢ و١٩٣٩، وقد بلغ عدد

الشيوعي في فلسطين، «١» مجلة شؤون فلسطينية، ع ٨٠، تموز ١٩٧٨ ص: ١٠٠، نقلاً عن والتر لاكمه تاريخ الصهيونية، منشورات باريس، ١٩٧٣ ص ٢٠٧ calaman levy.

المهاجرين اليهود إلى فلسطين ٢٢٥ ألف مهاجر جاؤوا من ألمانيا نتيجة لتزايد نفوذ الحركة النازية. وقد شهدت هذه المرحلة أكبر موجة هجرة إلى فلسطين. وترجع أسباب تدفق المهاجرين إلى ما يلي:

أولاً، ظهور الحركة النازية في ألمانيا وتزايد اضطهاد اليهود، وقد كشف بعض الكتّاب اليهود من أمثال ألفرد ليلينتال أن الصهاينة اتصلوا بالنازيين وشجعوهم على هذه السياسية حتى يبرروا إقامة الدولة. وليس هذا بمستغرب على الصهيونية التي اشتركت في عمليات الاضطهاد في ألمانيا بعد الحرب لإجبار اليهود على الهجرة إلى فلسطين.

ثانياً، أثرت الأزمات الاقتصادية في أوروبا على هجرة كثير من اليهود إلى فلسطين، كما أدت الأحوال الاقتصادية في أميركا إلى التشدد في تطبيق القيود المفروضة على الهجرة إليها، ويتضح ذلك من الأماكن التي قدم منها المهاجرون، حيث مثل اليهود البولنديون نصف الموجة الخامسة، وكذلك من خلال التكوين العرقي للموجة الخامسة فإن أكثر من ٩٠٪ من مهاجريها كانوا من اليهود الأوروبيين. وكان من بين هؤلاء عدد كبير من أصحاب المهن الحرة والعمال المهرة المتخصصين، ففي الفترة ١٩٣٥-١٩٣٩ هاجر إلى فلسطين حوالي ١٠٠٠ طبيب و ٥٠٠ مهندس، وكان ذلك استعداداً من الصهاينة لوضع أسس إعلان دولتهم^(١١).

المرحلة السادسة: تمتد من ١٩٣٩ حتى بداية ١٩٤٨، وهي المرحلة التي اشتعلت خلالها الحرب العالمية الثانية وشهدت فيها الهجرة اليهودية ركوداً. ولا يعني ذلك أن الهجرة توقفت بل أخذت وتائر أقل من المرحلة السابقة وبالأخص بعد انتهاء الحرب. فقد استمرت الهجرة بأشكالها المختلفة ولكن بأعداد أقل، إما عن طريق الإبحار مباشرة إلى فلسطين، وإما الإبحار إلى موانئ محايدة في تركيا والبلقان، ثم الانتقال إلى فلسطين بحراً

(١١) يوسف كامل إبراهيم، التحول الديموغرافي القسري في فلسطين، ٢٨ تموز/يوليو ٢٠١١، جميع الحقوق محفوظة لموقع الحرية الإلكترونية © ٢٠١٢. وكذلك يوسف كامل إبراهيم، رئيس قسم الجغرافيا - جامعة الأقصى - فلسطين، التحول الديموغرافي القسري في فلسطين، المركز الفلسطيني للإعلام، ١١-٤-٢٠١١. جميع الحقوق محفوظة للمركز الفلسطيني للإعلام - © ٢٠١٢.

أو براً. وقد وصل إلى شواطئ فلسطين في سنوات الحرب نحو ١٥ ألف مهاجر (غير شرعي). وبلغ عدد المهاجرين في المرحلة السادسة حوالي ١٢٠ ألفاً. وعند قيام دويلة «إسرائيل» في سنة ١٩٤٨ ازدادت شراهة اليهود للهجرة باتجاه فلسطين، ففي سنة ١٩٤٩ بلغ عددهم ٢٤٠ ألف مهاجر، وفي سنة ١٩٥٠ بلغ العدد ١٧٥ ألف مهاجر، وكانت بولندا أحد المصادر الهامة للمهاجرين اليهود حيث أسهمت بربع مليون مهاجر تليها رومانيا ثم العراق ثم اليمن^(١٢).

وفي مرحلة الانتداب البريطاني على فلسطين تكتفت عمليات استملاك اليهود للأراضي الفلسطينية، وتدفقت الهجرة اليهودية بشكل مكثف ومنظم خلال الموجات الثالثة والرابعة والخامسة. ولمزيد من الإيضاح فإن الجدول التالي يعطي فكرة عن الهجرة اليهودية ومنبعها خلال المراحل المذكورة سابقاً. ورغم التسهيلات المقدمة لليهود فقد شهدت الأربعينيات، أثناء مرحلة الانتداب البريطاني، هجرات سرية قام بها اليهود الشرقيون (السفارديم) من جهات مختلفة مثل اليمن والحبشة وأفريقيا الشمالية وتركيا وإيران، وذلك بسبب قيام سلطات الانتداب البريطاني بفرض بعض القيود على الهجرة اليهودية تقريباً من العرب بُغية وقوفهم إلى جانبها في الحرب العالمية الثانية. كما هاجر في فترة الانتداب البريطاني أكثر من ١٥ ألف يهودي من محمية عدن واليمن. وبلغ عددهم آنذا ما يقارب ١٥٣٦٠ يهودياً، أي قبل نكبة فلسطين، وبعد وعد بلفور، حيث نجحت الحركة الصهيونية في التأثير نوعاً ما على يهود اليمن^(١٣). ويعطي الجدول أدناه فكرة عن مسارات الهجرة قبل عام ١٩٤٨.

(١٢) الصادق مزهود، جغرافية السكان جامعة منتوري - قسنطينة، جميع الحقوق محفوظة لمتدى الموسوعة الجغرافية © ٢٠٠٩ - ٢٠١١.

(١٣) خالد أبو شرخ، معاداة اليهود (٤-٤).. في العالم العربي، الحوار المتمدن - العدد: ٣٥٤٩ - ٢٠١١ / ١١ / ١٧ - ٢٠: ١١

موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين قبل إنشاء الدولة اليهودية^(١٤)

الموجة	الفترة	عدد المهاجرين	جهة القدوم
الموجة الأولى	١٨٨٠-١٩٠٣	٢٥٠٠٠	من روسيا وبولندا ورومانيا
الموجة الثانية	١٩٠٤-١٩١٤	٣٤٠٠٠	من روسيا وشرق أوروبا
الموجة الثالثة	١٩١٩-١٩٢٣	٣٥١٠٠	من مناطق بحر البلطيق وروسيا وبولندا
الموجة الرابعة	١٩٢٤-١٩٣١	٧٨٨٩٨	بولندا، رومانيا، الشرق الأوسط
الموجة الخامسة	١٩٣٢-١٩٣٩	٢٢٤٧٨٤	ألمانيا، أوروبا الغربية، بولندا
الموجة السادسة	١٩٤٠-١٩٤٨	١١٨٣٠٠	وسط أوروبا، البلقان، بولندا، الشرق الأوسط

وعلى مستوى عدد السكان في فلسطين فلقد تم أول تقدير لعدد سكان فلسطين في القرن العشرين خلال فترة الحكم العثماني، ففي عام ١٩١٤ وهي السنة التي نشبت فيها الحرب العالمية الأولى «قُدِّر عدد سكان فلسطين بـ ٦٨٩٢٧٥ نسمة منهم ٨٪ من اليهود. وبعد خضوع فلسطين للانتداب البريطاني أصبح عدد سكان فلسطين حسب التقدير الرسمي ٦٧٣٠٠٠ منهم ٥٢١٠٠٠ من المسلمين و ٦٧٠٠٠٠ من اليهود و ٧٨٠٠٠ من

(١٤) نبيل السهلي، أراضي فلسطين ومراحل التسلسل الصهيوني وبناء المستوطنات، باحث للدراسات بيروت، ع صفر، صيف ٢٠٠٢، ص: ٧٩. وكذلك وليم فهمي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٠.

المسيحيين و ٧٠٠٠ من المذاهب الأخرى^(١٥). وعندما صدر وعد بلفور عام ١٩١٧ وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني من عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٤٨ حيث تم تقديم التسهيلات اللازمة لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وبدأ اليهود يتدفقون عليها بالآلاف وارتفع عددهم من «حوالي عشرة آلاف شخص في منتصف القرن التاسع عشر إلى ما يقرب من ٦٢٥٠٠ ألف شخص عند بداية الانتداب البريطاني، وإلى ما يقرب من ستمائة وخمسين ألف شخص عند نهاية الانتداب المذكور عام ١٩٤٨، وبذلك ارتفعت نسبة اليهود إلى مجموع عدد السكان في فلسطين من ٨,٣٪ عام ١٩١٩ إلى ٣١,٥٪ عام ١٩٤٣ وإلى حوالي ٣٣٪ عام ١٩٤٨.^(١٦)

وعلى صعيد النمو السكاني في فلسطين، بالاستناد إلى بيانات تعداد ١٩٤٥ الذي أجرته حكومة الانتداب وتعداد اليهود في «إسرائيل» عام ١٩٤٨، فقد تبين أن «نسبة النمو في السكان اليهود بلغت بين هذين التاريخين ١٦,٨٪ سنوياً، وأن نسبة الزيادة غير الطبيعية - بالهجرة - بلغت ٩٥,٢٪ وهو ما يوضح مدى أهمية الدور الذي لعبته الهجرة اليهودية في عملية بناء المجتمع».^(١٧) ويوضح الجدول التالي أعداد المسلمين والمسيحيين واليهود، ونسبة الزيادة حسب الديانة في فلسطين بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٤٤، حيث بلغت نسبة زيادة أعداد اليهود في فلسطين بفعل الهجرة ٧٤٪.

(١٥) يوسف كامل إبراهيم، التحول الديموغرافي القسري في فلسطين، م.س.

(١٦) صالح.ع مصطفى، فلسطين: التدمير الجماعي للقرى الفلسطينية والاستعمار الاستيطاني

خلال مائة عام، لندن، مركز القدس للدراسات الانمائية، ١٩٨٢، ص: ١٤.

(١٧) م.ن، ص.ن.

جدول تطور سكان فلسطين حسب الديانة بين عامي ١٩٢٢-١٩٤٤ (١٨)

الحالة	مسلمون	مسيحيون	يهود	آخرون	المجموع
عدد السكان وفقاً لتعداد ١٩٢٢	٥٨٩١٧٧	٧١٤٦٤	٨٣٧٩٠	٧٩١٧	٧٥٢٤٨
تقدير السكان في نهاية ١٩٤٤	١٠٦١٢٧٧	١٣٥٥٤٧	٥٢٨٧٠٢	١٤٠٩٨	١٧٣٩٦٢٤
مجموع الزيادة السكانية	٤٧٢١٠٠	٦٤٠٨٣	٤٤٤٩٢١	٦٤٨١	٩٨٧٥٧٦
الزيادة الطبيعية للسكان	٤٥٣٤٠٥	٤٥٥٩٠	١١٧٢٢٦	٦٠٢٦	٦٢٢٢٤٧
الزيادة السكانية بفعل الهجرة	١٨٦٩٥	١٨٤٩٣	٣٢٧٦٨٦	٤٥٥	٣٦٥٣٢٩
% الزيادة الطبيعية	%٩٦	%٧١	%٢٦	%٩٣	%٦٣
% الزيادة بفعل الهجرة	%٤	%٢٩	%٧٤	%٧	%٣٧

موجة الهجرة الكبرى

أما موجة الهجرة الكبرى فقد حصلت بعد إعلان الكيان الصهيوني في ١٥/٥/١٩٤٨ وحتى عام ١٩٥١، وكانت أكبر موجة هجرة شهدتها «إسرائيل» في تاريخها قبل الهجرة المكثفة من الاتحاد السوفياتي عشية سقوطه في نهاية الثمانينيات ومطلع التسعينيات من القرن الماضي. وقد

(١٨) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، بيروت ١٩٩٠، ص: ٢٨٨.

أدى قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين إلى تدفق ٦٨٧٦٢٤ مهاجرًا إلى فلسطين فاق عدد المهاجرين سكان «إسرائيل» اليهود عند الإعلان عن قيامها، وبلغ متوسط هذه الهجرة السنوي نحو ٢٠٠ ألف مهاجر، ويمثل عام ١٩٤٩ ذروتها. وتكونت بالتساوي من شقين: أتى أولها من مهاجري أوروبا وهم من حركة الشباب لدعم جهد «إسرائيل» العسكري ومساندتها في حرب عام ١٩٤٨. وأتى ثانيها من مهاجري البلدان العربية والإسلامية، حيث أفرغت تقريبًا اليمن وعدن والعراق وليبيا من اليهود. وكانت نسب أهم البلدان التي أتى منها المهاجرون كالتالي: العراق مع ١٢٣٣٧١ مهاجرًا، رومانيا ١٧,٢٪ مع ١١٧٩٥٠ مهاجرًا، ١٥,٥٪ بولندا مع ١٠٦٤١٤ مهاجرًا، ٧٪ اليمن وعدن مع ٤٨٣١٥ مهاجرًا، ٥,٤٪ بلغاريا مع ٣٧٢٦٠ مهاجرًا، ٥٪ تركيا مع ٣٤٥٤٧ مهاجرًا، ٤,٥٪ ليبيا مع ٣٠٩٧٢ مهاجرًا، ٤,١٪ المغرب مع ٢٨٢٦٣ مهاجرًا، ٣,٢٪ إيران مع ٢١٩١٠ مهاجرين، ٢,٧٪ التشيك والسلوفاك مع ١٨٧٨٨ مهاجرًا. ولم تسجل نسبة تذكر للقارة الأميركية (٠,٦٪)، وغلب على موجة الهجرة الطابع الأوروبي والآسيوي.^(١٩) كما غادر حوالي ٥٠ ألف يهودي يعني في تلك الفترة نفسها أي بعد حرب ١٩٤٨ ولم يبق في اليمن سوى ٢٥٠ عائلة يهودية فقط. وفي وقت لاحق بلغ عدد يهود الجزائر الذين تمّ جذبهم إلى «إسرائيل» في عهد بومدين ما يقارب ١٤١ ألف نسمة. وفي ما يتعلق باليهود من أصل ليبي فلم يبق في ليبيا قبيل استلام العقيد معمر القذافي الحكم سوى ٥ أشخاص فقط.^(٢٠)

وفي صيرورة البناء الإثني للكيان الصهيوني على صعيد الجماعات

(١٩) فواز حامد الشرقاوي، السكان اليهود في فلسطين، دراسة في الصراع السكاني خلال النصف الثاني من القرن العشرين، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، ص ٦٢٧ - ص ٦٧٧، يونيو ٢٠٠٧، ص ٦٤٣-٦٤٤.

/ISSN 1726-6807, <http://www.iugaza.edu.ps/ara/research>

(٢٠) سلام الربضي، دراسة إشكالية مشروع «إسرائيل» الجديدة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٣/١١/٢٠١٠.

اليهودية المختلفة برزت جماعتان إثنيتان يهوديتان مهيمنتان في «إسرائيل» هما «الأشكنازيم» وهي تسمية مشتقة من العبرية القديمة وترمز إلى يهود ألمانيا، وهي تضم اليوم يهوداً من أوروبا الشمالية والشرقية (وكذلك من أميركا)، و«السفارديم» (تسمية عبرية قديمة ترمز إلى يهود إسبانيا)، وهي جماعة تضم اليوم يهوداً من منطقة الشرق الأوسط والبلقان وإيجة وأراض شرق أوسطية. وهنالك فوارق في الطقوس والشعائر الدينية بين هاتين الجماعتين؛ لكن كلاً منهما تعترف بسلطة وصلاحيات المحاكم والأحكام الحاخامية للأخرى^(٢١). ويمكن القول اليوم إن السفارديم تعبير يدل على الأفراد الذين جاؤوا من مجتمعات الشرق، ويطلق عليهم مصطلح اليهود الشرقيون، حيث يشير التعبير إلى اليهود من أصول إفريقية وآسيوية، أما الأشكنازيم فهم اليهود الغربيون أكانوا من أوروبا أم أميركا.

وبالمحصلة يمكن القول إن اليهود الأشكناز، أي اليهود القادمين من دول أوروبا هم من أسس الكيان الصهيوني، وهم الذين قاموا بالاستيلاء على أرض فلسطين وطرد سكانها، وهم الذين أعلنوا قيام الدولة الصهيونية. وعلى صعيد «المواطنين العرب من الطوائف اليهودية فإنهم عموماً رفضوا الهجرة إلى فلسطين في الفترة الواقعة بين عامي ١٩١٨ و ١٩٤٨. غير أن النتائج التي أسفرت عنها حرب عام ١٩٤٨ أدت إلى تهجير ما يزيد عن ٣٠٠٠٠٠٠ يهودي من البلدان العربية والبلدان الإسلامية. وقد أدت سياسة التجهيل وعدم وضوح الرؤيا حول المشروع الصهيوني ومخاطره إلى قيام بعض الزعماء العرب بتسهيل هجرة اليهود في محاولة للتخلص منهم، ونخص بالذكر حاكم اليمن الإمام أحمد حميد الدين الذي قام بتهجير نحو ٥٠ ألف يهودي يعني عام ١٩٤٩، وحاكم العراق نوري السعيد الذي قامت حكومته بتهجير ١٢٥ ألف يهودي عراقي خلال عامي ١٩٥٠-١٩٥١. وبحلول نهاية العام ١٩٦٥ كان قد تم إفرغ البلدان العربية إفراغاً

(٢١) المجتمع الإسرائيلي والدولة الصهيونية، أوراق باحث، باحث للدراسات، بيروت، ٢٠١١، ص ٦٢.

شبه تامّ من الطوائف اليهودية العربية وتهجيرها إلى «إسرائيل». وبالتالي يمكن القول إن «نضال» الحكومات العربية ضد الصهيونية قد نتج عنه خلال السنوات العشرين التي تلت إقامة «إسرائيل» تزويدها بما يتراوح بين ٧٠٠ ألف و ٨٠٠ ألف مهاجر يهودي يزيد عددهم اليوم مع نسلهم عن مليوني نسمة^(٢٢). وفيما يغلّف الالتباس عملية هجرة اليهود إلى فلسطين من اليمن فثمة معلومات تشير إلى موافقة الإمام أحمد - بعد تمنّع طويل من والده - على هجرة اليهود من بلاده. وتولّت الوكالة اليهودية عملية الهجرة الجماعية وذلك بالاتصال مع السلطات البريطانية في عدن من أجل تأمين فتح معسكرات للمهاجرين من جهة، والتوسط لدى سلاطين المحميات للسماح لهم بالمرور عبر أراضيهم من جهة أخرى. وانتشر مندوبو الوكالة اليهودية في مناطق التجمع السكاني للدعوة إلى الهجرة وتنظيمها بسرية تامة، وتدفقت إلى عدن من جميع أنحاء اليمن والمناطق المجاورة مجموعات متوالية من المهاجرين لتكوين مركز تجمع قبل نقلهم إلى فلسطين. وفي عامي ١٩٤٩ و ١٩٥٠ هاجر من تبقى من الطائفة اليهودية اليمنية في أكبر عملية تهجيرية وهي عملية «البساط السحري»، وليس هذا البساط سوى الطائرات الحديثة التي حملت يهود اليمن عن طريق الجو إلى فلسطين^(٢٣). وأما بالنسبة للعراق فإن للحركة الصهيونية يداً طويلاً في تعزيز الهجرة من خلال التفجيرات التي طاولت اليهود في العراق، والضغط الذي مورس لتسهيل هجرة اليهود مقابل إسقاط جنسياتهم العراقية. وعلى أية حال فإن المعلومات حول اليهود السفارديم أو اليهود الشرقيين قبل عام ١٩٢٨ تشير إلى أنهم كانوا يشكلون الأكثرية وسط السكان اليهود في فلسطين (حوالي ٦٠٪). وهكذا ففيما كان اليهود الشرقيون يشكلون في أواسط القرن التاسع عشر الأغلبية الساحقة من يهود فلسطين فإن الهجرة اليهودية الصهيونية

(٢٢) نزيه قورة، شبح الصهيونية الديمغرافي، مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت عدد ٩٥، ت ١ - ١٩٧٩، ص ١٣.

(٢٣) أحمد كامل هواوي، هجرة يهود اليمن ودور الصهيونية، المعرفة، موقع الجزيرة نت، ٢٢/١٢/٢٠٠٤ م.

من دول أوروبا التي تدفقت على فلسطين عدلت الموازين وقلصت نسبتهم فأصبحوا أقلية (أقل من ١٠٪) من مجموع السكان اليهود قبل عام ١٩٤٨. بينما كان اليهود الأشكناز يشكلون ٧٧٪ من الدولة الإسرائيلية الجديدة^(٢٤). ولكن التحول في الاتجاه الآخر أي لمصلحة اليهود الشرقيين تم بعد قيام «إسرائيل»، حيث هاجر عدد كبير من اليهود الشرقيين (السفارديم) في موجات واسعة فازداد عددهم بصورة سريعة، وشكلوا في أوائل السبعينيات نحو نصف عدد سكان «إسرائيل». وأكبر الطوائف في «إسرائيل» هم اليهود المغاربة يليهم بالترتيب: العراقيون واليمنيون والإيرانيون. ولا يزال أبناء هذه الجماعات يحافظون بصفة عامة على الكثير من عادات وتقاليد الأقطار التي جاؤوا منها. وفي مطلع السبعينيات تفوقت نسبة السفارديم فصارت النسبة ٤٧,٤٪ مقابل ٤٤,٢٪ من الأشكناز. إلى أن حصلت موجة الهجرة من الاتحاد السوفياتي التي قلبت المعادلة من جديد لمصلحة الأشكناز^(٢٥). ووفقاً للمفاهيم الإثنولوجية داخل الكيان الصهيوني فإن يهود روسيا يصنفون أشكنازيم، في حين يصنّف يهود الدول الآسيوية التي كانت جزءاً من الاتحاد السوفياتي سفارديم، كيهود جورجيا وأذربيجان الخ...

والحقيقة أن أميركا بدأت منذ عام ١٩٧٥ بممارسة الضغط على الاتحاد السوفياتي كي يسمح لليهود السوفيات بالهجرة واستصدرت تشريعاً من الكونغرس يربط تطور العلاقات التجارية المشتركة بمدى فتح الأبواب السوفياتية أمام هجرة اليهود السوفيات إلى الخارج. ومن هذا الباب فقط حصلت «إسرائيل» على مليون يهودي مهاجر في السنوات العشر التالية لتفكك الاتحاد السوفياتي وغالبيتهم جامعيون ومهنيون وبعضهم علماء وهكذا أصبحت الإضافة إلى «إسرائيل» مزدوجة: بشرية وعلمية وفوق هذا وذاك مجانية. والمستوطنون من الاتحاد السوفياتي السابق يعتبرون من النخب اليهودية التي ضمت آلاف الأطباء والمهندسين والأدباء والموسيقيين

(٢٤) المجتمع الإسرائيلي والدولة الصهيونية، أوراق باحث، ص: ٦٤.

(٢٥) عبد الوهاب المسيري، «إسرائيل» المستوطن الصهيوني، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٧، ط ١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٤٠-٢٤١.

وغيرهم من الكفاءات، وكان دافع هؤلاء المهاجرين الهروب من الوضع الاقتصادي المنهار^(٢٦).

ومن المعلوم أن العنصر الرئيسي المتحكم في الهجرة من الاتحاد السوفياتي يتمثل في مسارات التغيير التي حكمت الاتحاد وطبيعة البناء السلطوي هناك، فتدهور الأوضاع المعيشية للسوفيات في مطلع التسعينيات قبل انهيار النظام الشيوعي لعب دوراً محورياً في دفع اليهود إلى الهجرة. وتفيد التقديرات لأعداد المهاجرين في آذار ١٩٩٠ أن العدد الكلي للمهاجرين السوفيات قد يصل إلى ٢٣٠ ألف شخص تلك السنة وحدها، بعدما كانت التقديرات الرسمية السابقة تفيد بأن عدد المهاجرين سيصل في سنة ١٩٩٠ إلى نحو ١٠٠ ألف شخص مقارنة مع مجموع المهاجرين الوافدين من الاتحاد السوفياتي طوال سنة ١٩٨٩ الذي بلغ ١٣ ألف شخص^(٢٧). وقد بلغ عدد المهاجرين من منشأ روسي عام ١٩٩٦ نحو ٨٠٠ ألف شخص يملك حق الاقتراع من بينهم عدد يتراوح ما بين ٥٥٠ ألفاً و ٦٠٠ ألفاً (منهم نحو ٤٥٠ ألفاً هاجروا في التسعينيات والباقي هاجروا في السبعينيات). وقدرت القوة الانتخابية لهؤلاء حينها بـ ١٢ نائباً. أما بالنسبة إلى المهاجرين الجدد من روسيا فيلاحظ أن «إسرائيل» بدأت منذ مطلع الألفية الثالثة بفتح مراكز لتعليم اللغة العبرية، واختيار نوعية المهجّرين إليها، والتركيز على أن يكونوا من الشباب فقط، حيث منحت هؤلاء الشباب المهجّرين امتيازات أهمّها استدعاء أسرهم للقدوم إلى «إسرائيل» بعد فترة معيّنة من الزمن، أي أن «إسرائيل» باتت تركز على عنصر النوعية، باعتبار أن عنصر الشباب منتج، أما كبار السن فهم بحاجة أكبر إلى خدمات الدولة^(٢٨). وتوضح عملية استيعاب الهجرة أن هناك مشكلة أساسية تكمن في التفرقة بين المهاجرين،

(٢٦) نصار رشيد إبراهيم، الدور البنوي للعملة الفلسطينية في الاقتصاد الإسرائيلي (دراسة تحليلية)، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق ١٩٩٨، ص ٨٠.

(٢٧) أحمد سامح الخالدي - حسين جعفر آغا، حول هجرة اليهود السوفيات، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع ٢، ربيع ١٩٩٠، ص ٨.

(٢٨) خالد شعبان، مجلة مركز التخطيط الفلسطيني، العدد الثالث والرابع يوليو / ديسمبر ٢٠٠١.

بين القادمين من أوروبا أو الولايات المتحدة، والقادمين من أثيوبيا من ناحية، ومن ناحية أخرى بين من هو أبيض أو أسود، ومن هو علماني أو متدين، بالإضافة إلى المهاجرين الروس الذين يعتزون بروسيتهم ويشعرون بأنهم أرقى أقلية في «إسرائيل»^(٢٩). وعلى مستوى الكفاءة ومستوى المهاجرين الروس العلمي والعملية يتبين أنه منذ بداية الهجرة الواسعة عام ١٩٨٩ حتى نهاية ١٩٩١ كان بين المهاجرين الجدد في «إسرائيل» ١٠ آلاف عالم، و٨٧ ألف مهندس وتقني، و٣٨ ألف معلّم، و٢١ ألف طبيب، و١٨ ألفاً من رجال الفن، و٢٠ ألف أكاديمي في العلوم الاجتماعية^(٣٠).

ولما كانت غالبية المهاجرين الروس من الفئات التي حصّلت تعليماً متقدماً في مجالات عديدة من التخصصات فقد عمل في «إسرائيل» ثلثا المهاجرين الروس في وظائف علمية وأكاديمية وتقنية. ومع حلول عام ١٩٩٥ تسجّل ٦٦ ألف مهاجر كمهندسين ومعماريين، إضافة إلى ١٤ ألفاً من الأطباء وأطباء الأسنان، وقرابة ١١ ألفاً من العلماء و٣٠٩ آلاف من المعلمين. كما أن الأغلبية الساحقة من المهجرين الروس لا يعرفون اللغة العبرية - اللغة الرسمية الأولى في «إسرائيل» - وعموماً فإن المهاجرين الروس في «إسرائيل» يعيشون بشكل أساسي في مجموعة من التجمعات المدنية ويطركزون في الأحياء ذاتها. وعلى خلاف الهجرات السابقة فإن المهاجرين أنفسهم بادروا إلى الانخراط في مجتمعهم من خلال ترجمة قوتهم العددية إلى نفوذ سياسي واقتصادي. ولقد أسسوا أحزابهم السياسية التي فازت بمقاعد في البرلمان، وأسسوا صحفاً عدّة. ولأسباب اقتصادية أصبح المهاجرون مصدر جذب

(٢٩) فواز حامد الشرقاوي، السكان اليهود في فلسطين، دراسة في الصراع السكاني خلال النصف الثاني، من ق ٢٠، م.س. ص ٦٧٠.

(٣٠) محمد سعد، الهجرة اليهودية الراهنة في موازنة التطور الاقتصادي الاجتماعي في «إسرائيل»، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، ٨، خريف ١٩٩١. ص ٢٩٧.

للقطاعات الخاصة والعامة التي تزودهم بخدمات لا حصر لها بلغتهم^(٣١). وتشكل الطاقة البشرية للمهاجرين قوة عسكرية لا يستهان بها. فقد أعفت هذه الطاقة الإطار العسكري من ضرورة تمديد فترة الخدمة العسكرية من عامين ونصف العام إلى ثلاثة أعوام^(٣٢). وتشير المعطيات والدلائل إلى أن أغلبية المهاجرين السوفيات الجدد لا تحركهم الدوافع الإيديولوجية الصهيونية المتطرفة. وهنالك شبه إجماع على أن اليهود السوفيات يفضلون بالدرجة الأولى العيش داخل «إسرائيل» نفسها وفي المدن الكبرى على وجه التحديد. ويبدو كذلك أن المهاجرين الجدد يميلون من ناحية مبدئية إلى الاستقرار في المناطق التي توجد فيها تجمعات قائمة من اليهود السوفيات حيث لهم أقرباء وأصدقاء ومعارف أُلخ. ويمكن القول إن الاعتبارات الإيديولوجية القوية من جهة، والسعي الطبيعي نحو العيش في بيئة مدنية بين أناس من خلفية وأصل مماثلين من جهة أخرى، قد يقللان من حوافز التوجه إلى الأرض المحتلة (غير القدس) في المدينين القريب والمتوسط على الأقل.

بيد أن التكوين الإثنوغرافي حسب الأصل القومي لا يعني بالضرورة القبول بوضعية الفئة المهاجرة في الكيان الصهيوني على النسق الذي تحدده الدولة، حيث تميل كل جماعة في البداية إلى التفاعل مع الجماعات التي تتواءم معها على الصعيد اللغوي والحضاري الخ. وهنا يلعب عامل الاندماج دوراً محورياً في التكوين الإثني للقوى التي تعيش في «إسرائيل». ذلك أن صعوبة الاندماج وازدياد الشعور لدى المهاجرين بالاغتراب، وخاصة بين يهود الاتحاد السوفياتي الذي يمثلون حالياً الغالبية الساحقة من المهاجرين^(٣٣)،

(٣١) سمدار دونيتسا-شميت، السلوك اللغوي، الهوية الإثنية والتوجهات بين المهاجرين الروس في «إسرائيل»، في اللغة والهوية في «إسرائيل»، تحرير د محمد أمارة، مدار المركز الفلسطيني للدراسات، مؤسسة الأيام - رام الله فلسطين، ٢٠٠٢، ص ١٤٤-١٤٥.

(٣٢) عطا القميري، الهجرة اليهودية بين أزمة الفرد وتطور المجتمع، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد ٨، خريف ١٩٩١، ص ٢٤٤.

(٣٣) يوسف حمدان، هل بدأت تتحقق نبوءة توينبي في عودة الإسرائيليين إلى «المهجر»، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، عدد ٤٩، أيلول ١٩٧٥، ص ١٧٣؟

يؤثران في طبيعة القوى ذات الفعالية في الكيان الصهيوني، من دون التغافل عن أن التفرقة العنصرية في «إسرائيل» ضد اليهود الشرقيين والسود هي حالة غنية عن التعريف .

ثلاث جماعات إثنية رئيسية

تصنّف الإحصاءات «الإسرائيلية» السكان اليهود وفقاً لبلد الأصل إلى ثلاث جماعات إثنية رئيسية:

١- الأشكناز: وهم المولودون في أوروبا وأميركا والمولودون في «إسرائيل» لآباء من مواليد أوروبا وأميركا.

٢- السفارد: وهم المولودون في آسيا وأفريقيا والمولودون في «إسرائيل» لآباء من آسيا وأفريقيا.

٣- يهود أبناء البلد وهم الذين ولدوا وآبأؤهم في البلد (فلسطين المحتلة).

وفي منحي آخر يرى الباحث الإسرائيلي أورك بيفتاشل أن المجتمع الإسرائيلي يضم ثلاث فئات اجتماعية مهيمنة هي: ١- الفئة الاستيطانية المركزية (المأذونة) الأشكنازية بالدرجة الأولى؛ ٢- السكان الأهليون (المحليون) الذين هم العرب الفلسطينيين؛ ٣- مهاجرو ما بعد عام ١٩٥٠ (المزراحيين بالدرجة الأولى)^(٣٤).

وتشير إحصاءات حديثة إلى أن عدد السكان في «إسرائيل» بلغ ٧٦٩٥٠٠٠ نسمة، وفقاً للأرقام الصادرة عن المكتب المركزي للإحصائيات، وأن عدد يهود «إسرائيل» يبلغ حوالي ٥٨٠٢٠٠٠ أو ٧٥,٤ في المئة من المجموع. أما العرب فنسبتهم ٢٠,٤٪ من السكان، أو ١٥٧٣٠٠٠ نسمة وهناك ٣٢٠,٠٠٠ من المتبقين، أو ٤,٢٪،

(٣٤) أورك بيفتاشل، الحدود والهيمنة في الإثنوقراطية الإسرائيلية، في الكيان الصهيوني بيت العنكبوت، ترجمة باحث للدراسات، قراءة عبدالله الحسن، ص ٤٦ .

من السكان غير المسجلين، لا عن طريق وزارة الداخلية ولا عبر سلطات الهجرة. كما أن نسبة ١,٩٪، أو الزيادة الصافية وقدرها ١٤٣٠٠٠ شخص خلال العام الماضي، تمثل ارتفاعاً ثابتاً منذ عام ٢٠٠٣، وتعكس معدل نمو مماثل للزيادة التي كانت في الثمانينيات، وذلك قبل عملية الهجرة الواسعة من الاتحاد السوفياتي السابق خلال التسعينيات. ويتركز معظم السكان اليهود في القدس أو في وسط البلاد، بما في ذلك تل أبيب، في حين يعيش ٦٠٪ من السكان العرب في الشمال. وتظهر البيانات أن خمس السكان يعيشون في الشمال، ونصف هؤلاء الناس فقط هم من اليهود. وأما في الجنوب فيقع الانقسام في الاتجاه المعاكس مع وجود ١١٪ فقط من السكان العرب هناك معظمهم من البدو^(٣٥). وتشكل الهجرة الصافية نسبة ٣٤٪ من الزيادة في عدد السكان اليهود، مقارنة بـ ٣٦٪ في السنة السابقة، وجاء ما يقرب من ٩٠٪ من المهاجرين من الاتحاد السوفياتي السابق، و٣٦٪ من الاتحاد الروسي. وفي أواخر عام ١٩٩٦ كان الأشكنازيون يشكلون نسبة ٣٤٪ من سكان «إسرائيل» البالغ عددهم ٥,٧ مليون نسمة؛ أما السفارديم أي اليهود الشرقيون فشكّلوا ٣٧٪، والعرب ١٦٪ والنسبة الباقية ١٤٪ تمثل المهاجرين الذين قدموا حديثاً من الاتحاد السوفياتي^(٣٦). هذا مع العلم أن ثمة شكوكاً كبيرة في كون المهاجرين من الاتحاد السوفياتي هم جميعهم من اليهود.

وعلى أي حال فإن مجموع الهجرة إلى «إسرائيل» انخفض بشكل ملحوظ قبل عام ٢٠٠٩، ففي عام ٢٠٠١ انخفض العدد إلى ٣٣٨٥٨ وبحلول شهر أيلول من عام ٢٠٠٢ كان عدد المهاجرين ٢٥٢٩٦ مهاجراً بينهم ١٣٧٩٢ من أوروبا الشرقية ذلك العام^(٣٧). وتفيد المعطيات الصادرة

RUTH EGLASH On eve of 2011، Israel's population reaches 7.7 million، (٣٥)

JPost.com 12/29/2010

(٣٦) أورك بيفتاشل، الحدود والهيمنة في الإثنوقراطية الإسرائيلية، في الكيان الصهيوني بيت العنكبوت، ص ٤٦.

Ner Leelef، World Jewish Population، israelnjudaism.blogspot.- (٣٧)

com/2011/.../World-jewish-p... Bottom of Form Saturday، July 30، 2011

عن الوكالة اليهودية أن السنوات الأخيرة لا تحمل أبعداً دينية للهجرة والاستيطان، بل إن أكثرها حصل لأهداف علمانية دنيوية دافعها تحسين المستوى المعيشي. وكانت سنة ٢٠٠٩ الأكثر جذباً لليهود الشباب ذوي الخبرة العملية والكفاءة التقنية العالية. وقد أوضحت وكالة سوخوت وهي مؤسسة تهتم بالهجرة اليهودية أن العام ٢٠٠٩ سجل هجرة ١٦٢٤٤ يهودياً ما يعني زيادة قدرها ١٧٪ مقارنة بالعام ٢٠٠٨، وكان نصف المهاجرين الجدد من الاتحاد السوفياتي السابق (٧٢١٠) والباقي من الأمريكيتين الشمالية والجنوبية؛ و ٦٠٪ من هؤلاء المهاجرين هم دون سن ٣٥ سنة أي من فئة الشباب^(٣٨).

ومن المعطيات الهامة التي يشير إليها الباحث الفلسطيني نبيل السهلي أن إسرائيل استطاعت جذب ربع يهود العالم حتى عام ١٩٨٠. وارتفعت النسبة نحو ٤١٪ في العام ٢٠٠٩ أي أنه بات في «إسرائيل» نحو ٥,٥ مليون يهودي منهم ٤٠٪ من اليهود الغربيين الأشكناز و ٣٦٪ من اليهود الشرقيين السفارد فضلاً عن نحو ٢٩٪ من يهود الصابرا وهم اليهود الذين ولدوا لآباء يهود مولودين في فلسطين التاريخية وغالبية هؤلاء من اليهود الأشكناز^(٣٩).

كما أن المتبع للتشكيل السكاني في «إسرائيل» يلاحظ أن مجموع السكان فيها قد وصل في مطلع عام ٢٠١١ إلى ٥,٧ مليون يهودي، ويشكل اليهود الغربيون (الأشكناز) من أصول أميركية وأوروبية نحو ٤٠٪، في مقابل ذلك يشكل اليهود الشرقيون (السفارد) من أصول أفريقية وآسيوية نحو

(٣٨) ندى الشقيفي المريني، الكيان الصهيوني بين يهودية الدولة وانهارها، باحث للدراسات، بيروت، ط ١، ٢٠١١، ص ١٨٥.

(٣٩) نبيل السهلي، «إسرائيل عشية انتخاباتها العامة»، صحيفة الحياة، بيروت، ٣-٢-٢٠٠٩.

٣٦٪ من إجمالي اليهود في إسرائيل. ويمثل يهود الصابرا الأب يهودي مولود في فلسطين النسبة الباقية ومقدارها ٢٤٪. واللافت أن اليهود المهاجرين من الدول العربية باتوا يشكلون نحو ٢٠٪ من إجمالي اليهود في «إسرائيل»، ومعظمهم من يهود المغرب العربي والعراق على وجه الخصوص^(٤٠).

ويوضح الجدول أدناه أماكن قدوم المستوطنين إلى الكيان الصهيوني من مختلف بقاع العالم اعتباراً من عام ١٩٤٨ وحتى عام ٢٠١١^(٤١).

الهجرة إلى «إسرائيل» في مرحلة ما بعد بناء الدولة حسب الأقاليم العالمية^{٤٢}

السنة	الاتحاد السوفياتي السابق ^{١٥}	أوروبا الغربية ^{١٦}	أوروبا الشرقية ^{١٧}	أميركا، كندا وأوقيانوسيا ^{١٨}
١٩٤٨-١٩٥١ ^{٢١}	٨٤١٦٣	٢٢٤٢٤٢	٣٠٢٣٩٧	٤٤٤٨٨
١٩٥٢-١٩٦٠	١٣٧٤٣	٦٩٨٨	٨٤٦٨٢	٧٦٩٥
١٩٦١-١٩٧٠	١٤٧٤٢	٢٦٠٣٣	٩٩٥٩٩	٤١٢٨١
١٩٧١-١٩٨٠	١٥٦٣١٨	٣٤٧٣٢	٢٠٦٩٥	٨٠٧٣٩
١٩٨١-١٩٨٩	٢١٤٢٤٠	٢٣٩٣٦	١٤٣٥٦	٤٣٥١٥
١٩٩٠-١٩٩٤	٥٣٢٣٥٧	١١٩٧٩	٩١٢٦	١٨٨٢٩
١٩٩٥-١٩٩٩	٢٩١٥٦٦	١٦٠٠١	٤٤٧٧	٢٤٣٩٠
٢٠٠٠-٢٠١١	١٧٦٥٦٥	٣٨١١٦	٣٧٩١	٦٣٥٠٨
المجموع	١٤٢١٤٦٩٤	١٨٠٤٠٣٧	٥٣٩١٢٣	٢٨٤٤٤٤٥

(٤٠) نبيل محمود السهلي، محاولات إسرائيلية لجذب يهود تونس، جريدة الشرق الأوسط، صفحة: السراي، العدد ١١٧٥٣، ١١ فبراير ٢٠١١.

(٤١) Aviva Zeltzer-Zubida and Hani Zubida، Patterns of Immigration and Absorption in Israel، Jewish virtual library publication، copy right the American -Israeli cooperative enterprise 2013، July 2012.

السنة	تركيا والشرق الأوسط ١٩	بقية آسيا وأفريقيا	غير محدد ^{٢٠}	أثيوبيا
١٩٥١-١٩٤٨	٢٨٧,٥٠٥	٤٢,٨٠٨	١٩,١٢٩	٧
١٩٦٠-١٩٥٢	١٧١,٠٠٠	٨,٧٧٤	٦٥٧	٥٧
١٩٧٠-١٩٦١	١٨٢,٠٨١	١٨,٤٤٧	٢٧٠	١٢٥
١٩٨٠-١٩٧١	٢٩,٨٥٧	٥,٤٦١	٦٩٢	٥٧٢
١٩٨٩-١٩٨١	١٠,٧٠٢	١,٨٨٢	٣٩٣	١,٣٨٩
١٩٩٤-١٩٩٠	٥,٤٤٤	١,١٦٩	٤٢٥	٢٩,٨١٦
١٩٩٩-١٩٩٥	٤,١٩١	١,٤١٧	٣٠٥	٩,٧٩١
٢٠١١-٢٠٠٠	٤,٤٠٢	١,٥٨٦	٨٣٦	٣١,٧٥٨
المجموع	٦٩٥,١٨٢	٨١,٥٤٤	٢٢,٧٠٧	٨٨,٧٨٦

١٤- قدمت البيانات من وحدة الأبحاث في الوكالة اليهودية، وتعود إلى الأرقام الكاملة للمهاجرين إلى «إسرائيل» من الأقاليم العالمية.

١٥- هذه الفئة تضم أعداداً مفصلة من البلدان التالية: روسيا، روسيا البيضاء، أوكرانيا، مولدوفيا، جنوب القوقاز، وإجمالي المهاجرين من المناطق التالية: آسيا الوسطى وبقية الاتحاد السوفياتي السابق.

١٦- هذه الفئة تضم أعداداً مفصلة من الدول التالية: ألمانيا، بريطانيا العظمى، فرنسا، بلجيكا، إيطاليا، سويسرا، هولندا، إسبانيا، البرتغال، وإجمالي المهاجرين من المناطق التالية: الدول الاسكندنافية وبقية أوروبا الغربية.

١٧- هذه الفئة تضم أعداداً مفصلة من البلدان التالية: بلغاريا، بولندا، هنغاريا، رومانيا، وإجمالي المهاجرين من بقية أوروبا الشرقية.

١٨- هذه الفئة تضم أعداداً مفصلة من الدول التالية: الولايات المتحدة الأمريكية، كندا، جنوب أفريقيا، أوقيانوسيا، المكسيك، أوروغواي

الأرجنتين، البرازيل، فنزويلا، بيرو، تشيلي، كولومبيا، وإجمالي المهاجرين من بقية أمريكا الجنوبية والوسطى.

١٩- هذه الفئة تضم أعداداً مفصلة من تركيا وبقية دول الشرق الأوسط.

٢٠- تتألف هذه الفئة من الناس الذين ينحدرون من بلد منشأ غير معروف.

٢١- تشمل فترة ١٩٤٨-١٩٥١ مهاجرين غير معروفين بلد الإقامة بلغ عددهم ٢٤٠٠٠، وفي السنوات اللاحقة تضمنت فئات المهاجرين عدداً قليلاً من المهاجرين من هذا القبيل.

مآل القوّة لكل مجموعة
على الصعد المختلفة

مآل القوة لكل مجموعة على الصعد المختلفة

القوة السياسية لكل مجموعة

نتيجة لتجميع اليهود من مختلف بقاع الأرض ، والمحاولات القسرية لدمجهم في إطار وطني واحد، ظهرت إشكاليات سببها الرئيسي طبيعة التكوين السكاني اليهودي في «إسرائيل»، والتنازع بين مختلف أطرافه ولا سيّما بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين على فرص الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويجد ذلك صوراً كثيرة للتعبير عنه. وبعد أن مال الميزان العددي لصالح الشرقيين من خلال الاستيطان الذي جلب اليهود الشرقيين أكانوا من الدول الآسيوية والعربية أم من أفريقيا، عاد الغربيون ليعدّلوه بهجرة روسية كثيفة في أوائل تسعينيات القرن العشرين، ما أبقى على «إسرائيل» دولة تنتمي إلى العالم الغربي، مع المحافظة على انتمائها مكانياً إلى الشرق الأوسط كراس حرباً لهذا الغرب.

ولقد شهدت «إسرائيل» اثنتين من موجات الهجرة الجماعية، واحدة في خمسينيات القرن التاسع عشر والثانية في تسعينياته، حيث وصل نحو مليون مهاجر جديد في كل موجة. ففي الموجة الأولى جاء نصف المهاجرين من أوروبا وأميركا (الأشكناز) والنصف الآخر من آسيا وأفريقيا (السفارد). (وفي الموجة الثانية كان هنالك أكثر من ٩٠٪ أشكناز جاؤوا من الاتحاد السوفياتي السابق والبقية جاءت من الأجزاء الآسيوية من الاتحاد السوفياتي السابق، وأثيوبيا، وغيرها من المناطق غير الأوروبية. وعلى الرغم من أن نصف عدد المهاجرين في خمسينيات القرن التاسع عشر كانوا من

الأشكناز وقت وصولهم وخلال العقود التي تلت ذلك فإن قدوم هؤلاء اليهود الأوروبيين لم يُنظر إليه كإشكالية من قبل الـ ٦٣٠ ألفاً من المقيمين سابقاً، حيث كان ٧٧٪ منهم من الأشكناز. ولهذا السبب ينظر إلى الهجرة الجماعية الأولى كمزراحي وتتناقض مع الهجرة الروسية الأشكنازية الثانية^(٤٢).

وبالتالي فإن إحدى دلالات الإبقاء على هوية «إسرائيل» ذات الطابع الغربي تعني الاستمرار في أن «تتميز العلاقات بين الجماعات الإثنية في «إسرائيل» بسيطرة اليهود الأشكناز ، اقتصادياً وسياسياً وثقافياً. وقد انعكست السيطرة الاقتصادية بتمثيل زائد لليهود الغربيين في الشرائح الطبقيّة العليا ، وتمثيل زائد لليهود الشرقيين في الشرائح الدنيا . وانعكست السيطرة السياسية بسيطرة اليهود الغربيين على مختلف مؤسسات الحكم ، وخصوصاً الكنيست (البرلمان) ، والحكومة والأحزاب الرئيسية ، والوكالة اليهودية»^(٤٣). ورغم الارتفاع الملحوظ في نسبة اليهود الشرقيين في البرلمان، ما يؤشر إلى تقدم لأبناء الطوائف الشرقية في السياسة، فإنهم لم يصلوا إلى حالة من التكافؤ مع اليهود ذوي المنبع الغربي . كما أن بعض المحللين الإسرائيليين يرى أن حرب حزيران عام ١٩٦٧ كانت معلماً بارزاً في تعاضم قوة المتدينين على قاعدة التمسك بأرض «إسرائيل» الكاملة. لكن لواء الرأي السائد يعقد على اعتبار أن الثمانينيات شكلت الفترة التي برزت فيها هذه القوة بصورة ملموسة. ففي الشارع بدأ الحريديون منذ أواسط تلك الفترة يشنون المناوشات في محاولة لفرض معتقداتهم على الجميع^(٤٤).

(٤٢) Sammy Smooha، The mass immigrations to Israel: A comparison of the- failure of the Mizrahi immigrants of the 1950s with the success of the Russian immigrants of the 1990s، The Journal of Israeli History، Vol. 27، No. 1، March 2008، 1-27 Downloaded By: [University of Haifa] At 20 March 2008. p:7

(٤٣) إحسان أديب مرتضى، الأقليات، العرقيات والطوائف اليهودية في «إسرائيل»، ط ٢، باحث للدراسات، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٩٩.

(٤٤) خالد عايد، المتدينون والعلمانيون في «إسرائيل»: جدل الوحدة والصراع، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع ٣٠، ربيع ١٩٩٧ ص ١١٦.

وذلك من خلال فرض معتقداتهم وسلوكياتهم التي تتسم بالتحريم فيما يتعلق بالنساء ومظهرهن ونزع الإعلانات الخلاعية وإغلاق الشوارع أيام السبت وغير ذلك من الأنشطة .

وفي كل الأحوال فإن المواجهة بين المهاجرين الشرقيين والأشكناز القدامى قائمة تحت رعاية الدولة التي يسيطر عليها اليهود الأشكناز وتعاني من مشاكل كثيرة غير متشابهة حيث سادت حالة كلاسيكية من التفاعل والتنافس بين السكان الضعفاء والأقوياء، ما أدى إلى ظهور مجموعة مزراحي العرقية بمستوى منخفض بدلاً من المساواة والاستيعاب. فعند دخول المهاجرين اليهود الشرقيين إلى «إسرائيل» منحوا الجنسية الإسرائيلية كمواطنين يتمتعون جميعاً بالحقوق المدنية والسياسية، ويمكن لهم تحديد وبرمجة تصويتهم والترشيح لجميع المناصب العامة، وخوض النضال من أجل تحسين ظروف معيشتهم. ومع ذلك لم يكن اليهود الشرقيون قادرين على الاستفادة من إمكاناتهم الكبيرة، المتمثلة في تراكم القوة الكامنة في أعدادهم الهائلة ومنحهم المواطنة بشكل فوري، وذلك بسبب عوائق هيكلية عدة. وكما هو ملاحظ فإن طاقتهم التفاوضية كانت قد تقلصت إلى حد كبير بسبب وضعهم كلاجئين بحكم الأمر الواقع. وعلاوة على ذلك كانت الدولة قوية جداً وكان المجتمع المدني ضعيفاً جداً. وكان المهاجرون يعتمدون على الدولة كما يعتمدون على الهستدروت (اتحاد العمال) لتوفير الخدمات الأساسية مثل الصحة، والعمالة، وخدمات الرعاية الأخرى^(٤٥).

ويرى الأستاذ خالد عايد، أحد المختصين في دراسة المجتمع الصهيوني، أن النظام الإسرائيلي محكوم بمبدأين رئيسيين اثنين هما: أولاً، على الرغم من العديد من المظاهر الديمقراطية تبقى الإثنية (وليس المواطنة الإقليمية) المنطلق الرئيسي الذي ينظم تخصيص وتوزيع موارد الدولة؛ ثانياً، تمتع الفئة المأذونة (المنعمة) بموقع تتفوق فيه على الجماعات الإثنية الأخرى. وقد نجحت

Sammy Smooha, 'The mass immigrations to Israel: A comparison of the- (٤٥) failure of the Mizrahi immigrants of the 1950s with the success of the Russian ..immigrants of the 1990s.op.cit

هذه الفئة في تكيف أجهزة الدولة وأصبحت تملّي طبيعة السياسة المتبعة. وبالنظر إلى القواعد الإثنية للعبة، وإلى هيمنة الأشكناز (الفئة الإسرائيلية المنعمة)، أصبح الكيان الإسرائيلي موسوماً بممارسات السيطرة الإثنية المستمرة على العرب والأقليات اليهودية. ويمكن القول إن بعداً رئيسياً من أبعاد السيطرة الاجتماعية على الجماعات المحيطة يتعلق بالأصول الأوروبية لليهود الأشكناز. وفي مطلع الخمسينيات، وبعد الهجرة الجماعية من البلدان المسلمة، وجد اليهود الأشكناز أنهم أصبحوا أقلية لا تتجاوز نسبة ٣٥-٤٠٪ من سكان الدولة^(٤٦). ما أدى، برأي الأستاذ عايد، إلى تولّد خوف لدى النخب من إمكانية «مشرقة» البلد، ما يعني اضمحلال الهيمنة الأشكنازية.

على أية حال، لقد تميزت مرحلة ما بعد حزيران ١٩٦٧ بتقارب الأحزاب اليمينية المتطرفة وخاصة الليكود مع الأحزاب الدينية. ومع أن رفض الممارسة الدينية والتشكيك في القيم نفسها يمثل بعض المتغيرات الثابتة في السلوك العسكري، لم يكن غريباً أن تلتقي الأحزاب الدينية مع اليمين الإسرائيلي المتطرف الفاشستي، وأن ترتبط بهما المؤسسة العسكرية في «إسرائيل»، وهو ما شكّل انقلاباً حقيقياً في النظام الإسرائيلي منذ عام ١٩٧٧ انتقل به من الصورة الديمقراطية المعتادة إلى الصورة الفاشية الواضحة «والذي يربط هؤلاء جميعاً هو مفهوم الولاء للدولة العبرية. وهكذا فإن ائتلافاً حاكماً مكوناً من اليمين العنصري الفاشي والأحزاب الدينية الصهيونية المدعومة من القوى الدينية غير الحزبية مثل غوش أنوميم وكاخ وغيرهما، على غرار ما حدث عام ١٩٩٦، من شأنه أن يزيد من اتجاهات التوسع الصهيونية، والسعي نحو تحقيق «إسرائيل» الكبرى عن طريق الحروب وتنمية النزعة العدوانية المرتكزة على أصول دينية، تدعمها في ذلك المؤسسة العسكرية

(٤٦) ك بيفتاشل، الحدود والهيمنة في الإثنوقراطية الإسرائيلية، في الكيان الصهيوني بيت العنكبوت، م.س، ص:٤٧.

التي حلت محل المسيح المخلص في الفكر الإسرائيلي»^(٤٧). كما كان ازدياد التوجه الحريدي (التشدد الديني في فرض أحكام الشريعة اليهودية) اعتباراً من نهاية السبعينيات من العلامات البارزة التي تدل على تراجع العلمانيين على الصعيد المؤسسي والشعبي.

لقد كان اليهود السفارديم، أو اليهود الشرقيون، يشكلون قبل عام ١٩٨٢ حوالي ستين في المئة من السكان اليهود في «إسرائيل»، وقد تعاضم ارتباط السياسة الخارجية الإسرائيلية بحديثات العلاقات الداخلية، مما يعني أن «إسرائيل» ربما تقوم بممارسات قد تبدو خارجياً غير متوقعة وغير مفهومة، بسبب سياسات داخلية ضيقة وحسابات حزبية ومناورات ائتلافية تكتيكية. وفيما كان هذا الارتباط جزءاً دائماً من مشهد السياسة الإسرائيلية، فقد تحوّل منذ عام ١٩٧٧ وصعود الليكود إلى نمط سلوك يعبر عن تغيير في البنية السياسية الحاكمة، بعد أن تحوّلت من حكر على حزب واحد إلى «محل تنافس» بين عدة تيارات تتسابق للفوز بها، مما يعني عملياً حدوث تغيير في نمط المناورة السياسية ومحاولة استرضاء الأحزاب التي يمكنها أن تشكل حليفاً.

إلى ما سبق، هنالك من يصنّف الانقسام في المجتمع الإسرائيلي إلى وسطين أحدهما علماني والآخر ديني. ويشير مصطلح المجتمع العلماني إلى سكان «إسرائيل» الذين ينكرون وجود - أو يقللون من شأن - أية صلة بين الشعائر اليهودية والوصايا الإلهية. وينقسم المجتمع العلماني إلى فئتين هما العلمانيون الليبراليون والعلمانيون القوميون. كما أن المجتمع الديني ينقسم إلى فئتين هما فئة الصهاينة المتدينين وفئة المتدينين المترمتين^(٤٨).

وفي مطلق الأحوال، فمن المعروف عبر السنوات أن الأشكناز يسيطرون على الحزبين الكبيرين العمل والليكود ومن يدور في فلكيهما (ميريتس

(٤٧) خالد عايد، المتدينون والعلمانيون في «إسرائيل»: جدل الوحدة والصراع م.س، ص ١١٧.
(٤٨) دافيد برلين ولورا زارمبسكيا، الانقسامات داخل المجتمع الإسرائيلي - هل انتهى الحلم الصهيوني، باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، بيروت ٢٠١١، ص ٤٤-٤٥.

ومكوّناته من جهة، والجناح اليميني المتطرف من جهة أخرى). لقد ولد هذان الحزبان واستمررا في أداء وظيفتهما كحزبين إشكنازيين، رغم أن الأنماط الانتخابية تتماشى مع الولاء الإثني، فمنذ الستينيات صوّت معظم المزارحين لحزب الليكود، فيما صوّت معظم الأشكناز لحزب العمل^(٤٩). كما أن النفوذ المتنامي لجماعات المزارحي، والجماعات الروسية، والجماعات اليهودية المتشدّدة (الأرثوذكسية) له بالتأكيد تأثير على إسرائيل الآن وفي المستقبل وذلك مع استمرار ازدياد قوة هذه الجماعات. والتأثير الأكثر سيكون في المجال السياسي فالجماعات الأكثر محافظة تكسب نفوذاً سياسياً متزايداً. و«إسرائيل» ستكون أقل سخاء في التنازلات كجزء من عملية السلام وأقل استعداداً لقبول شروط اتفاق السلام الذي وجدت لتكون أقل من مؤاتية. إن كل الجماعات المجزأة تاريخياً أصبحت تمثل التيار الرئيسي والمتزايد عددياً. وهذا قد يؤثر بشكل كبير على الاقتصاد الإسرائيلي وعلى التركيبة السكانية الإسرائيلية، ويشكل محوراً مهماً للدولة اليهودية التي يعترها القلق بشأن معدلات المواليد العرب التي تتجاوز معدلات المواليد اليهود وتمثل تغييراً في التركيبة الديمغرافية الإسرائيلية^(٥٠).

تجدر الإشارة هنا إلى أن التحوّل في التركيبة السياسية يتزامن مع صعود قوة هوامش المجتمع الإسرائيلي التي لم تكن في السابق تحظى بوزن سياسي حقيقي ومؤثر، ومع دخولها إلى الساحة السياسية كقوى مركزية فاعلة من جهة ومرتبطة استراتيجياً بحاجات ناخبها الفئوية من جهة أخرى. وتضم هذه القوى أساساً مهاجرين من دول الاتحاد السوفياتي سابقاً، وشرقين متدينين، وأبناء الطبقات الاجتماعية الشرقية المهمشة. ورغم أن التوقعات

(٤٩) أسعد غانم، عقد من الانقلابات: الانتخابات والسياسة في «إسرائيل» ١٩٩٢-٢٠٠٢، في الهويات والسياسة في إسرائيل، تحرير د. أسعد غانم، مدار، رام الله، ٢٠٠٣، ص ٣٤.

(٥٠) Joel Portman، The Rising Influence of Segmented and Fractionalized – Communities in Israel، For Departmental Distinction in the Major Bachelor of Arts Program in International Studies، Josef Korbel School of International Studies and University Honors، University ، Honors Program at the University of Denver، Spring 2010

تشير إلى أن أحزاباً على شاكلة «إسرائيل بيتنا» بزعامة ليبرمان التي تمثل عملياً المهاجرين الروس مرشحة للتآكل بسبب توقع انصهار المهاجرين التدريجي، إلا أنه يجب التنبيه إلى أن ليبرمان يأخذ كما يبدو هذا الأمر بعين الاعتبار، ويسعى إلى نزع صفة الفتوية عن نفسه من خلال تشديده على مفاهيم الولاء والمواطنة والصهيونية المتجددة، أملاً في أن يصبح ممثلاً لليمين الإسرائيلي الجديد ككل^(٥١). ثم إن النفوذ المستمر والمتزايد للشرقيين والروس والمتشددين له تأثير كبير على مستقبل «إسرائيل». فالبلاد تصبح أكثر تحفظاً مع توجهها سياسياً إلى اليمين. أما موقف «العرب الإسرائيليين» فسيزداد سوءاً مع استمرار هذا التوجه. ومعظم الروس اختبروا التمييز بشكل ملموس، ولكن نظراً لجودتهم العالية كرأس مال بشري فقد رُحِبَ بالعديد منهم في المجتمع الإسرائيلي المهيمن بسرعة أكبر بكثير من الشرقيين. وبدأ التداخل يتطور بين الشرقيين والروس، الذين أصبحوا جميعهم معنيين بالسياسة الوطنية، كما أن القيادات والأحزاب التي تمثلهم أصبحت الآن أكثر تأثيراً في البلاد^(٥٢).

من جهة أخرى، أسفرت انتخابات الكنيست الحادي عشر عن فوز قائمة شاس الحريدية الجديدة لليهود الشرقيين بأربعة مقاعد. وأنبأت تلك الانتخابات بإعادة تشكيل الخريطة الحزبية الإسرائيلية على نحو تحتل فيه الأحزاب الدينية مساحة متزايدة الاتساع، وكان تمثيل القوائم الدينية في الكنيست قد ارتفع إلى أن حصدت مجتمعة ما مجموعه ٢٣ مقعداً عام ١٩٩٦. على أن توزع القوى في البرلمان الصهيوني يتم حسب الكتل وتوجهاتها على النحو المبين في الجدول المتعلق بقائمة الأحزاب في الدورات الانتخابية الأخيرة الثلاث، حيث تظهر القوى الفاعلة والقوى التي اندثرت، كما يظهر الجدول كيفية تصنيف القوى البرلمانية والأحزاب على مستوى تركيبها من

(٥١) د. هنيدي غانم، ملخص تنفيذي، المشهد الإسرائيلي للعام ٢٠٠٩، ٣١-٣٠٣ - ٢٠١٠، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٣/١١/٢٠١٠.

(٥٢) Joel Portman، the Rising Influence of Segmented and Fractionalized - Communities in Israel، op.cit

الناحية البنيوية ومن حيث توجهات التدين والعلمانية والصهيونية وغير ذلك. وتعتبر حكومة بنيامين نتنياهو أكثر الحكومات الإسرائيلية يمينية، وهي تدمج بين قطبين هما اليمين الصهيوني القومي العلماني الذي يقوده ليرمان واليمين المتدين غير الصهيوني الذي يقوده يشاي، الأمر الذي يعني هيمنة اليمين بإيديولوجيته المتصلبة على المشهد السياسي.

والحقيقة أن التقديرات الصحافية كانت كثيراً ما تعكس توجهات الشارع الإسرائيلي، فقد توقعت صحيفة «هآرتس» فوز اليمين الصهيوني الممثل بالليكود في الانتخابات التي كانت ستجري عام ٢٠٠٩، استناداً إلى استطلاع أجره معهد الجغرافيا في تل أبيب. وقد ذكرت صحيفة «هآرتس» على موقعها الإلكتروني أن استطلاع جديداً أجره معهد الجغرافيا في تل أبيب يشير إلى أن اليمين الإسرائيلي بزعامة حزب الليكود سيحافظ على الصدارة في انتخابات الكنيست المقبلة، بينما سيشهد معسكر اليسار مزيداً من التراجع. ووفقاً للاستطلاع فإن حصة اليمين الإسرائيلي سترتفع وسيحصل على ٧٦ مقعداً نصفها لليكود. كما بين الاستطلاع أنه من المتوقع ألا يحصل حزب الاستقلال الذي يتزعمه إيهود باراك على أي مقعد في الانتخابات المقبلة^(٥٣). ومع أن المعطيات لم تكن متطابقة بالكامل مع نتائج الانتخابات عام ٢٠٠٩ إلا أنها كانت مؤشراً نوعياً للدلالة على التوجه العام للمجتمع الإسرائيلي الذي يزداد يمينية.

وفي ما يلي قائمة الأحزاب السياسية الرئيسية حتى عام ٢٠١٢، وعدد أعضاء الكنيست ١٦-١٨، انطلاقةً من الكنيست رقم ١٦ وصولاً لانتخابات عام ٢٠٠٩، وملخص عن الانتماء السياسي والميول والاتجاهات لكل منها^(٥٤).

(٥٣) إحسان أديب مرتضى، الإرهاب الصهيوني، جوهرًا، تاريخاً وتجليات، باحث للدراسات، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧ ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٥٤) Ami Isseroff, Zionism and Israel - All Rights Reserved, The - (٥٤) Encyclopedia and Dictionary of Zionism and Israel, copyright 2005-2008, .Updated February 12, 2009

الاسم	الاتجاه السياسي	أهم الشخصيات	عدد النواب في الكنيست حسب الدورات والسنوات التي أجريت فيها الانتخابات		
			سنة ١٦ ٢٠٠٣	سنة ١٧ ٢٠٠٦	سنة ١٨ ٢٠٠٩
العمل	يسار الوسط - يهودي علماني	إيهود باراك، بنيامين بن عازر، عمير بيريتس	٢١	١٩	١٣
كادما	اليمن الوسط، صهيوني، شعبي	إيهود أولمرت، تسبي ليفني، شاؤول موفاز	*	٢٩	٢٨
الليكود	يميني صهيوني، علماني، رأسمالي	بنيامين نتنياهو	٤٠	١٢	٢٧
هاتكيفا +	يمين متطرف	آريه الداد	٠	٠	—
ميريتس	يساري، صهيوني، علماني	يوسي بيلين، حايم رون، ران كوهين	٦	٥	٣
شينيوي: جرى حله	وسطي صهيوني ورأسمالي	تومي لايب، أفرام بوراز، أليزار زانديبرغ	١٥+	٠	—
نوي	يمين الوسط	دافيد تال	١*	٠	—
حزب الاتحاد الوطني	يميني متطرف وصهيوني	بني إيلون	٧	٩	
حزب المتقاعدین	غير معن - من اليمين	رافي إيتان	٠	٧	٠
إسرائيل بيتنا	يميني متطرف وصهيوني	أفيغادور ليرمان	**	١١	١٥
الحزب القومي الديني	يميني متطرف وصهيوني ديني	زيفولون أورليف، نيسان سلومنسك، شاؤول يحالوم	٦***		٣
شاس	أرثوذكسي متطرف، يمين الوسط، غير صهيوني	نيسيم داهان، يائير بيريز، شلومو بن عزرا	١١	١٢	١١
****أغودات «إسرائيل»	أرثوذكس متطرف، يميني، غير صهيوني	ياكوف ليتزمان، مائير بوروش	٣	٦	٥

***ديجيل هاتورا	أرثوذكس متطرف، غير صهيوني، حمائ	موشيه غافني، ابراهام رافيتز	٢	---	---
حاداش	الحزب الشيوعي الإسرائيلي (حزب عربي)	محمد بركة وأحمد طيبي	٣	٣	٤
البلد الحزب الوطني الديمقراطي	معادي للصهيونية، (حزب عربي تقدمي)	عزمي بشارة	٣	٣	٤
القائمة العربية الموحدة	معادية للصهيونية، فيها إسلاميون	عبد الملك دهامشة وطالب الصانع	٢	٤	٣
١+ تأسس في الكنيست ال ١٧. آريه الداد زعيم الحزب التحق في الاتحاد الوطني.					
* تألف حزب كادما في العام ٢٠٠٥ وليس له مندوبون في الكنيست السادس عشر. انضم إليه ١٤ عضواً من الليكود. بمن فيهم آريل شارون.					
** لقد اندمج حزب «إسرائيل» بيتنا مع حزب الاتحاد الوطني					

لقد أبرزت نتائج الانتخابات عام ٢٠٠٩ ارتفاع مرتبة المعسكر الكولونيالي الذي يشمل حزب الليكود ومعظم الأحزاب الدينية الاستيطانية اليهودية. وتعارض هذه الأحزاب إقامة دولة فلسطينية وتؤيد الاستعمار الجاري في الضفة الغربية وترفض تقسيم القدس أو عودة لاجئي فلسطين وتدعو إلى تعميق الطابع اليهودي للدولة^(٥٥). كما أبرزت الانتخابات أمرين آخرين هما: استمرار قوة تأثير الأصل الإثني والطبقة الاجتماعية، فالجمهور الإسرائيلي منقسم انقساماً عميقاً على أسس إثنية، بينما تؤدي السياسات التي تتمحور حول الهوية دوراً حاسماً في أفضليات الاقتراع. وهذه حالة نموذجية تنطبق على المجتمعات القائمة على التمييز بناء على الأصل الإثني، حيث يصبح هذا الأصل مصدراً رئيسياً للقوة والموارد، ويبقى قضية عامة رئيسية من خلال التوظيف السياسي الذي لا يتوقف، ففي هذه الانتخابات كان لل صوت الروسي أبرز تأثير في صعود حزب «إسرائيل بيتنا» الذي يأتي ٩ من نوابه ال ١٥ من المهاجرين الروس. كما أن الأحزاب الدينية جميعها

(٥٥) أوران يفتاحيل، التصويت لسياسة الفصل العنصري ديمقراطياً، ترجمة سمير صراس، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع ٧٧، شتاء ٢٠٠٩، ص: ١٧١.

تحمل طابعاً إثنيّاً قوياً. ويضم هذا المعسكر حزب شاس الذي يمثل اليهود الشرقيين بشكل صريح، وأحزاباً أشكنازية مثل الحزب الديني المتطرف «يهودت هتوراة» و«حزب البيت اليهودي» وإلى حد كبير «حزب الاتحاد القومي». وتمتنع الأحزاب الإسرائيلية الرئيسية الثلاثة (الليكود و كاديما والعمل) عن رفع لواء هوية إثنية واضحة، على الرغم من أن الليكود حظي تقليدياً بتأييد فئة اليهود الشرقيين الكبيرة الحجم، في حين يُعزى إلى حزبي العمل وكاديما تأييد قوي من اليهود الأشكنازيين. غير أن تفسير طريقة التصويت يتطلب الربط بين الإثنية والطبقة والجغرافيا، وبشكل عام كلما انخفض دخل المجموعة وبعُد موقعها عن المركز كان تصويتها إثنيّاً أكثر^(٥٦). وبالمحصلة فإن هنالك حقائق تتعلق بماهية الكيان الصهيوني بغض النظر عن القوى الفاعلة والمؤثرة سياسياً، أبرزها موقع الدين في الحياة السياسية، حيث يبدو أن هنالك إجماعاً واسعاً بين اليهود على أن «إسرائيل» ينبغي أن تكون دولة يهودية، بغض النظر عن تعريفهم لماهية الدولة من جهة وازدياد نفوذ المجموعات الدينية الأساسية في الحياة العامة، كالحرديم والدايتم لوميم اللتين هما من أقطاب الطيف الديني حيث يتبعهما نحو ١٧-٢٥٪ من اليهود الإسرائيليين حسب الاستطلاعات. أما اليهود التقليديون فيشكلون حوالي ٣٥٪ من اليهود الإسرائيليين، وهناك ٢٢٪ فقط من ٤٨٪ من اليهود الإسرائيليين الذين يصفون أنفسهم بالعلمانيين، ويصنّفون أنفسهم على أنهم غير متدينيين^(٥٧).

ومن الملاحظ أن الحرديم شكّلوا منذ نجاحهم في انتخابات ١٩٨٨ جزءاً من كل ائتلاف حكومي، كما وضعهم نجاحهم في فترات مختلفة من التسعينيات في موقف جعلهم قادرين على إملاء شروطهم على المجتمع الإسرائيلي. والحرديم هم المجتمع الأكثر نمواً في «إسرائيل»، بمعدّل ولادات أكثر بثلاث مرات تقريباً

(٥٦) م.ن، ص: ١٧٢-١٧٣.

(٥٧) كريم الجندي، صناعة القرار الإسرائيلي، الآليات والعناصر المؤثرة، ترجمة أمل محمود عيتاني، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص: ١٤١.

من بقية اليهود، وقد شكل هذا المجتمع النامي الذي يضم حوالي ٨٠٠ ألف شخص قاعدة القوة الشعبية التي يستند إليها الحريديم^(٥٨). ولكن على الرغم من القول إن «النخبة الحاكمة في (إسرائيل)» أشكنازية، كما أن المؤسسات الأساسية مثل الكيبوتس كلها أشكنازية، وأن هذه المؤسسات تحاول أن تحافظ على توجه الدولة الأشكنازي، فإن العنصر اليهودي الأشكنازي في الدولة الصهيونية أقل من ٥٠٪ بسبب هجرة اليهود السفارديم واليهود الشرقيين^(٥٩). على أن النفوذ المتنامي لجماعات المزراحي، والجماعات الروسية، والجماعات اليهودية (الأرثوذكسية) المتشددة له بالتأكيد تأثير على (إسرائيل) الآن وفي المستقبل، وذلك مع استمرار ازدياد قوتهم. والتأثير الأكبر سيكون في المجال السياسي فالجماعات الأكثر محافظة تكسب نفوذاً سياسياً متزايداً. وستكون (إسرائيل) أقل سخاء في التنازلات كجزء من عملية السلام وأقل استعداداً لقبول شروط اتفاق السلام التي وجدت لتكون أقل من مؤاتية. إن كل الجماعات المجزأة تاريخياً أصبحت تمثل التيار الرئيسي والمتزايد عددياً. وهذا قد يؤثر بشكل كبير على الاقتصاد الإسرائيلي وعلى التركيبة السكانية الإسرائيلية^(٦٠).

طبيعة القوى الفاعلة عسكرياً

من المعروف أن المجتمع الإسرائيلي قام في الأساس على منظومة معقدة من الآليات الاستيطانية كان أبرزها الاستخدام المفرط للقوة العسكرية للمستوطنين، ولولا توفر هذه القوة لما تمكن المستوطنون من طرد الفلسطينيين وممارسة الاحتلال المستمر لأراضيهم. ولهذا فإن بنية المجتمع الإسرائيلي

(٥٨) م.ن، ص: ١٤٢.

(٥٩) إحسان أديب مرتضى، الأقليات، العرقيات والطوائف اليهودية في (إسرائيل)، م.س.، ص: ١١٧.

(٦٠) Joel Portman، The Rising Influence of Segmented and Fractionalized – Communities in Israel، For Departmental Distinction in the Major، Bachelor of Arts Program in International Studies، Josef Korbel School of International Studies and University Honors. University Honors Program at the University of Denver، Spring 2010

تتصف بالطابع العسكري منذ تأسيس الكيان الصهيوني. ومن أبرز المؤشرات التي تكشف عن التوجه العسكري للمجتمع الإسرائيلي بعد إعلان الكيان الصهيوني التزام سياسة الحكومة العامة الرامية إلى إحالة الضباط على التقاعد في سن مبكرة وتعيينهم في مناصب في القطاع المدني. ولتعيين الضباط ذوي الرتب العالية في مناصب مدنية معان كثيرة أهمها توسيع التوجه العسكري ليشمل القطاعات المدنية مما يجعلها أكثر تقبلاً للأنضباط العسكري والمثل والأهداف العسكرية. كما يتميز المجتمع الإسرائيلي بصيغة عسكرية شاملة قوية، ذلك أن جميع الإسرائيليين القادرين على حمل السلاح رجالاً ونساءً يؤدون الخدمة الإلزامية. وينطبق على المجتمع وصف المجتمع المسلح أو الأمة المسلحة، كما يصف الإسرائيليون أنفسهم. وتشكل وزارة الدفاع الإسرائيلية وقيادة جيش الدفاع مركزاً لثقل اقتصادي وسياسي لا مثيل لها في العالم، باستثناء بعض أنظمة الحكم الدكتاتورية العسكرية^(٦١).

إلى ذلك يتمثل التأثير البعيد المدى للمؤسسة العسكرية في العدد الكبير من الأشخاص الذين يستمدون دخلهم من هذه المؤسسة، ففي نهاية عام ١٩٧٠ كان نصف القوى العاملة أو ثلثها على الأقل يحصلون على جزء رئيسي من دخلهم من موازنة القوات المسلحة^(٦٢).

وقد نمت الصناعات العسكرية لتصير أكبر صاحب عمل في «إسرائيل»، وأكبر المرافق الصناعية حيث تصل نسبة العاملين في هذا المرفق إلى نحو ٤٣٪ في القطاع الحكومي، و ٥٠٪ في قطاع الهستدروت و ١٠٪ في القطاع الخاص. وبلغ مجمل العاملين في الصناعات العسكرية (منتصف التسعينيات) إلى نحو ٣٠٪ من العاملين في القطاع الصناعي ونحو ٨٪ من اليد العاملة في «إسرائيل»^(٦٣). ورغم عسكرة المجتمع الإسرائيلي على

(٦١) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، «إسرائيل» المستوطن الصهيوني ج ٧ دار الشروق، القاهرة ط ١٩٩٩، ص ٢٤٠-٢٣٨.

(٦٢) إياد الفزاز، التوجه العسكري للمجتمع الإسرائيلي، مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت ع ٣٩، ت ٢-١٩٧٤، ص ١٠٢.

(٦٣) الأمن القومي الصهيوني في تطورات المفهومية والعملائية، باحث للدراسات، بيروت، ط ٢٠٠٦، ص ٢٢٥.

المستويين السياسي والاقتصادي فقد اهتزّت مكانة المؤسسة العسكرية قليلاً في الآونة الأخيرة. علماً بأنّ العنصر الأشكنازي هو المهيمن عليها هيمنتته على الدولة الصهيونية ككل، أما السفارديم واليهود الشرقيون فوضعهم مترد. ورغم أن بعض اليهود الشرقيين قد تمّ تصعيدهم واحتلوا مناصب قيادية مهمة فإن معظم المناصب القيادية تظل في يد الأشكناز بالدرجة الأولى^(٦٤). كما أن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ما زالت كما هي تحتفظ بدورها الأساسي في صياغة سياسات الدولة الصهيونية من خلال تخريج جنراتها وإحالتهم من الجيش على الحياة السياسية^(٦٥).

وبتبيّن من المعطيات والتقارير الإسرائيلية الخاصة بالأعوام الأخيرة أن التجنّد للجيش الإسرائيلي في تراجع مستمر من جهة، وأن نسبة تجنّد الحريديم والمتدينين القوميين في ارتفاع مستمر من الجهة الأخرى. وبالإمكان الاستنتاج أيضاً، وفقاً لتلك المعطيات والتقارير، أن الخدمة العسكرية أصبحت تشكّل عبئاً على الشبان والشابات اليهود من ناحية، وأن صورة الجيش الإسرائيلي أصبحت تميل أكثر إلى التدين من ناحية أخرى. ويتحدث الكثير من التقارير عن برامج خاصة يعدّها الجيش لتجنيد أكبر عدد ممكن من المتدينين القوميين المتطرفين.

وفي حين طرأت تغييرات على المكانة الاجتماعية للجيش الإسرائيلي من حيث ظهور «أزمة الحوافز» فإنّ الأزمة تتعلق بالهبوط الذي طرأ على حوافز الشبان الذين هم في سن التجنيد للخدمة في الوحدات القتالية. ففي الأعوام ١٩٨٥-١٩٩٤ قلت نسبة المتجندين من أصحاب القدرة القتالية بمعدل عشرة بالألف، كما استمر هذا الهبوط بعد ذلك أيضاً. وكان هذا الهبوط حاداً لدى العلمانيين حيث انخفض الاستعداد للتجنيد من ٦٠٪ إلى ٤٠٪،

(٦٤) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، «إسرائيل» المستوطن الصهيوني، ص ٢٤٠.

(٦٥) إعداد: سلام الرابضي، باحث في العلاقات الدولية دراسة: إشكالية مشروع «إسرائيل» الجديدة أي «إسرائيل» اليهودية ٢٣-١١-٢٠١٠ <http://www.alzaytouna.net/arabic>

أما في أوساط المتدينين فقد طرأ ارتفاع حيث بلغ الاستعداد للتجنيد في الوحدات المقاتلة نسبة ٦٨٪، إضافة إلى أزمة الاحتياط عندما قام جنود الاحتياط، ولا سيّما الضباط منهم، بالاحتجاج على التوزيع غير المتوازن لعبء الخدمة العسكرية، وعلى طول فترة الخدمة العسكرية الاحتياطية^(٦٦).

وفي الإطار ذاته، وبسبب ضغوط يمارسها حاخامون متطرفون، يتم إقصاء النساء عن الخدمة العسكرية. هذا بالإضافة إلى تراجع نسبة الشبان اليهود الذين يتهبون من الخدمة العسكرية، أو من الخدمة العسكرية في الوحدات القتالية. وتجدر الإشارة إلى أن المجندين من تل أبيب، ومدن وسط («إسرائيل») العلمانية عموماً، لم ينخرطوا بنسب عالية في الوحدات القتالية على مدى العقود الماضية، إذ يحتل المجندون من الكيبوتسات أعلى نسبة من بين الملحقين بالوحدات القتالية. وفي السنوات الأخيرة انضم إليهم المجندون من المستوطنات. وتبيّن المعطيات حول تجنّد فوج تشرين الثاني في العام ٢٠١٠ أن ٦١٪ من المجندين من المستوطنات التحقوا بوحدات قتالية، في مقابل ٣٦٪ من مجنّدي تل أبيب ومدن وسط («إسرائيل») الذين التحقوا بهذه الوحدات. ويعزو الجيش أحد أسباب ذلك إلى التغيرات الحاصلة في المجتمع الإسرائيلي والتمثلة في تزايد عدد المتدينين. وهناك ربما سبب آخر لا يتحدث عنه الجيش ولا وسائل الإعلام وهو تزايد عدد المستوطنين الذي أصبح يفوق النصف مليون في الضفة الغربية والقدس الشرقية، وهؤلاء بطبيعتهم هم جمهور قومي - يميني وقسم كبير منه متدين^(٦٧).

وفي هذا السياق تعصف بـ«إسرائيل» في الآونة الأخيرة سلوكيات جنود متدينين تتمثل في مغادرة هؤلاء الجنود مراسم عسكرية بسبب غناء مجنّدات،

(٦٦) يورام بيرى، النخبة العسكرية الجديدة في «إسرائيل»: لماذا يعتبر فهم النخبة العسكرية أمراً مهماً في دحر النخبة العسكرية الأشكنازية، المتدينون والشرقيون والمهاجرون يسيطرون على القيادة، قضايا إسرائيلية ع ٢٨٤، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، فلسطين، ٢٠٠٧، ص ٥٦.

(٦٧) دراسة لمجلة فورين بوليسي: وجهة «إسرائيل» الديموغرافية تتغير الخميس، ٠٤ حزيران/

أو مغنيات إسرائيليات، لرفضهم الاستماع إلى غناء نسائي انطلاقاً من مبادئهم الدينية وفتاوى الحاخامين. ويعتبر الجيش الإسرائيلي مغادرة هؤلاء الجنود للمراسم رفضاً للأوامر العسكرية إذ إن قادتهم أمرتهم بالتواجد في هذه المراسم. وعلى الرغم من ذلك فإن الجنود المتدينين يصرون على رفض المشاركة في مراسم تغني فيها نساء. حتى أن الأمور بلغت ما هو أبعد من مجرد الاستماع إلى غناء النساء، فقد أعلن جنود متدينون أن أقوال الحاخام، والفتوى الدينية والشريعة اليهودية عموماً، أهم وأسمى من الأوامر العسكرية. وبدا أن شرخاً حاصلاً في الجيش الإسرائيلي بين قيادته، التي لا تزال غالبيتها علمانية، وبين مجموعة دينية متطرفة مؤلفة من حاخامين وضباط! وحسب معلومات جمعها محتصون عام ٢٠٠٦ فإن إجمالي القوة العاملة في الجيش الإسرائيلي بلغ ١٢٧٥٠٠ جندي، فيما تبلغ قوات الاحتياط ٤٢٥٠٠٠ (٦٨).

وصفت افتتاحية صحيفة «هآرتس»، في مقال نشر عام ٢٠١١، الجيش الإسرائيلي بأنه «جيش الحاخامين» ورأت أن لدى القيادة العليا في الجيش الإسرائيلي توجهات تدل على استسلام هذا الجيش لمجموعة دينية متطرفة مؤلفة من حاخامين وضباط. وأضافت الصحيفة أن خدمة النساء في الجيش الإسرائيلي هي الرمز الأبرز للصفة الرسمية العلمانية في «إسرائيل». وحق النساء في الخدمة في الجيش الإسرائيلي بمساواة كاملة من خلال استفاد قدراتهن ومؤهلاتهن وتطلعاتهن الشخصية، في جميع المناصب المفتوحة أمام الرجال، نابع بصورة طبيعية من حقيقة أن القانون يلزمهن بالتجنّد مثل الرجال. وأشارت «هآرتس» إلى أن المجتمع الإسرائيلي مر خلال العشرين عاماً الأخيرة بتغيرات دراماتيكية في كل ما يتعلق بمكانة النساء عموماً ومكانتهن في الجيش خصوصاً، حتى أنه يصعب تذكّر الأيام التي سبقت قانون منع التحرش الجنسي الذي يتم تطبيقه بحرص شديد

(٦٨) إحسان أديب مرتضى، الأمن القومي الإسرائيلي في تطورات المفهومية والعمالية، باحث للدراسات، ط٢، ٢٠٠٦، ص ٢٦١.

في الجيش. وتابعت الصحيفة قائلة «إن السبيل لدمجهم اللائق في الجهاز العسكري لم ينته بعد»^(٦٩) وإن هنالك مجموعة سياسية تضغط على الجيش لجرّه مع الشعب خلف أبواب الظلام. وخلصت افتتاحية «هآرتس» إلى أن الحاخامين يريدون أن تأس النساء من الخدمة العسكرية وأن يفضلن التهرب منها. وفي المقابل، عندما يبعد الحاخامون العسكريون ضباط التربية وقيمهم العلمانية بشكل فظ، ويدفع اليمين نحو قانون الحصانة من غناء النساء في الجيش الإسرائيلي، فإنه من الواضح أن الهدف هو تحويل الجيش الإسرائيلي إلى جيش يهودي رجولي، ظاهر ومنغلق بموجب الشريعة اليهودية، ولن يبقى هذا جيش الشعب، وإنما جيش الحاخامين^(٧٠).

وفوق ذلك تشير أرقام شعبة القوة البشرية في الجيش الإسرائيلي إلى ارتفاع أعداد التلاميذ الآتين من التعليم الرسمي الديني في الوحدات القتالية، وترداد هذه الظاهرة بروزاً في مجال التطوع في سلك الضباط في هذه الوحدات. وفي الوقت الذي يكتفي فيه العديد من الجنود العلمانيين بثلاثة أعوام من الخدمة فإن الجندي المتدين يواصل تقدمه في الجيش، والنتيجة أن نحو ٤٠٪ من الطلاب في دورة الضباط الأخيرة في سلاح المشاة هم من المتدينين الذين يخضعون لتأثير الحاخام إيلي سادان الذي أسس في العام ١٩٨٨ كلية عسكرية تحضيرية، هي الأهم بين عدد من الكليات المشابهة، ومن بين خريجيها من أصبحوا قادة لكتائب وألوية في الجيش^(٧١). كما تشير المعلومات إلى أن عدد الأشخاص الذين يضعون القلنسوات الخاصة بالمتدينين على رؤوسهم يتزايد باستمرار، ففي عام ٢٠٠٠ كان هنالك شخص واحد فقط من أعضاء أركان الجيش الإسرائيلي يرتدي قلنسوة

(٦٩) تقارير صحافية جديدة: الجيش الإسرائيلي يستسلم أكثر فأكثر لأهواء المتدينين والحاخامين، المركز الفلسطيني للدراسات- مدار، رام الله - فلسطين. العدد ٢٧٠ السنة التاسعة، ١٣/١٢/٢٠١١، ص ٨.

(٧٠) م.ن، ص.ن.

(٧١) يورام بيرى، النخبة العسكرية الجديدة في «إسرائيل»: لماذا يعتبر فهم النخبة العسكرية أمر مهمًا، ص ٥٧.

المتدينين وهو كبير حاخامي الجيش الإسرائيلي، وفي عام ٢٠٠٤ أصبح هنالك أربعة من أعضاء رئاسة أركان الجيش يضعون قلنسوة المتدينين على رؤوسهم^(٧٢).

من جهة ثانية دلت معطيات نشرتها الصحف الإسرائيلية مؤخراً بشأن تجنّد الشبان الإسرائيليين للجيش في فوج تشرين الثاني على أن ارتفاعاً كبيراً طرأ على تجنّد الشبان من المستوطنات في الضفة الغربية للوحدات القتالية، وفي المقابل فإن نسبة الالتحاق بالخدمة بشكل عام استمرت هذا العام في الانخفاض. كما أصبحت الخدمة العسكرية مساراً هاماً لحراك الشباب المتدين، وخاصة لأولئك الذين رقبوا إلى صفوف الضباط في عام ٢٠١٠. كما أن النسبة الإجمالية للجنود المتدينين في الوحدات القتالية العادية تبلغ حوالي ٢٥-٣٠٪ و ٣٥٪ من كتائب المشاة تتألف من جنود متدينين، وهناك ارتفاع حاد في عدد المتدينين خريجي دورات ضباط المشاة من ٢,٥٪ فقط في عام ١٩٩٠ إلى ٢٦٪ في عام ٢٠٠٨^(٧٣).

ووفقاً للمعطيات التي نشرها الجيش الإسرائيلي فإن ٦١٪ من المجندين من المستوطنات اختاروا التوجه إلى الوحدات القتالية بينما كانت هذه النسبة في فوج تشرين الثاني الماضي ٤٥٪ تقريباً. وتفيد معطيات الجيش الإسرائيلي بأن تجنّد الشبان الملزمين بالخدمة العسكرية في تناقص مستمر وأن ٦٧٪ من الملزمين بالخدمة العسكرية تجنّدوا هذا العام بينما كانت هذه النسبة ٧٤,٧٪ في العام ١٩٩٠. ويتوقع أن تهبط إلى ٦٤٪ في العام ٢٠٢٠. وأحد أبرز أسباب تراجع نسبة المتجندين هو حدوث تحولات داخل المجتمع الإسرائيلي تتمثل في زيادة عدد ونسبة اليهود الحريديم، أي المتزمّتين دينياً، الذين يتم إعفاؤهم من الخدمة العسكرية تحت تعريف أنهم

(٧٢) تقارير صحافية جديدة: الجيش الإسرائيلي يستسلم أكثر فأكثر لأهواء المتدينين والحاخام، م.س، ص ٨.

(٧٣) Yagil levy: is the IDF becoming Theocratic, working paper series no 22- The open university of Israel research institute for policy, political economy and society, 2012

يعكفون على دراسة التوراة في المعاهد الدينية، أي أن «توراتهم حرفتهم» ويحصلون على مخصّصات مالية من خزينة الدولة^(٧٤).

وتبيّن المعطيات أيضاً أن نسبة الذين كانت توراتهم حرفتهم ارتفعت من ٤,٩٪ من المزمين بالخدمة العسكرية في العام ١٩٩٢ إلى ١٣,٤٪ الآن، وهذا التطور يثير قلقاً في الجيش. ومع ذلك أصبح هناك حضور بارز للجنود والضباط المتدينين، وخصوصاً أولئك الذين ينتمون للتيار الديني - الصهيوني - القومي المتطرف في الجيش الإسرائيلي، وقسم كبير منهم هو من المستوطنين. ووفقاً للمعطيات ذاتها فإن المنطقة الثانية التي تتجدد منها نسبة عالية للوحدات القتالية هي المستوطنات في القدس الشرقية حيث يطلب ٥٢٪ من المجندين الالتحاق بهذه الوحدات. واحتلت منطقة شمال «إسرائيل» المكان الثالث حيث يطلب ٥٠٪ من المجندين الالتحاق بالوحدات القتالية. بينما بقيت منطقة تل أبيب ووسط «إسرائيل» في المكان الأخير إذ لم تتجاوز نسبة المجندين للوحدات القتالية منها ٣٦٪. ولا يزال الشبان من الكيبوتسات، أي القرى التعاونية، يسجلون أعلى نسبة في التجنّد للوحدات القتالية، وقد ارتفعت من ٥٨٪ في العام الماضي إلى ٦٧٪ هذا العام. ويثير تراجع تجنّد النساء باستمرار قلقاً كبيراً في الجيش الإسرائيلي حيث وصلت نسبة اللاتي لا يتجنّدن إلى ٤١٪ في العام الماضي^(٧٥). ومن أبرز أسباب ذلك حصولهن على إعفاء من الخدمة الإلزامية بسبب كونهن متديّئات. وأكد عاموس هارثيل المحلل العسكري في صحيفة «هآرتس»، أن ارتفاع عدد المتدينين داخل الجيش سيجعله جيشاً مختلفاً. وكتب يقول: «قال الحاخام أفيحاي رونتسكي، الذي أنهى عمله في منصب الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلي قبل نصف عام، إن التسعة عشر جزءاً في الاحتياط الذين كانوا في الجيش منذ وقت طويل رفعوا رسالة إلى رئيس هيئة الأركان

(٧٤) ارتفاع كبير في عدد المستوطنين المتجنّدين للوحدات القتالية في الجيش الإسرائيلي! ارتفاع عدد المتدينين سيجعل الجيش الإسرائيلي مختلفاً - المشهد الإسرائيلي، المركز الفلسطيني للدراسات مدار، رام الله - فلسطين العدد ٢٦٩، السنة التاسعة. ٢٨-١١-٢٠١١ م، ص ٥.

(٧٥) م.ن، ص.ن.

بيني غانتس أعربوا فيها عن قلقهم من التطرف الديني في الجيش، وهم لا يعرفون ما يحدث في هذا الجيش الآن في نهاية العام ٢٠١١، حيث يوجد واقع آخر مختلف. وبالفعل فإن موقعي الرسالة التي أرسلت إلى رئيس الأركان احتجاجاً على منع النساء من المشاركة في المناسبات الرسمية، وعلى إبعاد الضابطات من النساء عن قيادة الفرق القتالية، هم في أغلبيتهم بعيدون عن الواقع الحالي للجيش الإسرائيلي الذي تغير كثيراً منذ أن كان هؤلاء الضباط الكبار، من أمثال يشعياهو غافيش وأوري أور ومناحيم عينان، يخدمون في الجيش»^(٧٦).

وأما الحاخام سادان الذي يدير أكاديمية عسكرية فقد أعرب عن إعجابه بشجاعة وإقدام يغئال عمير قاتل رابين، وبالشجاعة الاستثنائية لباروخ غودلشتاين (مرتكب مجزرة الحرم الإبراهيمي في العام ١٩٩٤). وأشار كاتب المقال إلى أن «ما يثير الاستغراب هو أن هذا الكلام الذي كنا نسمعه قبل عشرة أعوام في أوساط مئير كهانا (زعيم الحركة اليهودية المتطرفة المعادية للعرب التي اعتُبرت خارجة على القانون) بتنا نسمعه اليوم من جانب عدد كبير من الشخصيات المتدينة ومن أمثال الحاخام سادان. وقد أعرب أحد الضباط الكبار في الجيش عن دهشته لعدم قيام رئاسة الأركان بالرد على كلام سادان، لكن يبدو أن ثمة احتمالاً ضئيلاً لأن تقوم رئاسة الأركان بمثل هذا الرد، ولا سيما أن الأكاديمية العسكرية التي يديرها الحاخام سادان تزود الجيش سنوياً بأفضل الضباط!».

والجدير بالذكر أن التحولات في الجيش الإسرائيلي تعكس التحولات التي يمر بها المجتمع الإسرائيلي، وبضمن ذلك الحلبة السياسية في إسرائيل. فقد قدّم عضوا الكنيست يعقوب كاتس، اليميني المتطرف من حزب الاتحاد الوطني، وتسيبي حوتوفيلي، من حزب الليكود الحاكم، مشروع قانون إلى الكنيست ينص على منح الحصانة من غناء النساء في الجيش

(٧٦) تقارير صحافية جديدة: الجيش الإسرائيلي يستسلم أكثر فأكثر لأهواء المتدينين والحاخام،

الإسرائيلي للجنود المتدينين؛ والحصانة من طردهم من الخدمة العسكرية في حال رفضوا المشاركة في مراسم عسكرية تغني فيها نساء. وينص مشروع القانون على أنه لا يتم إصدار أمر لجندي يتعارض مع دينه ولا يتم طرد جندي من مهامه بسبب عدم تنفيذ أمر يتعارض مع شريعة دينه. وأضاف مشروع القانون أن الجهة المخولة إقرار الشريعة الدينية الملزمة هي الحاخامية العسكرية التي يتولى حاخامون متطرفون جميع المناصب فيها^(٧٧).

وفي إطار الحديث عن نسبة الإقبال على التجنيد في الجيش الإسرائيلي، ذكرت صحيفة هآرتس الإسرائيلية على موقعها الإلكتروني أن معطيات الجيش الإسرائيلي تشير إلى انخفاض في نسبة المجندين في صفوف الجيش الإسرائيلي. وأضافت الصحيفة أن سنة ٢٠١٢ كانت الأسوأ في تدني نسبة المتجندين لصفوف الجيش منذ سبع سنوات ويتوقع أن تستمر دالة الانخفاض تلك حتى عام ٢٠١٥، موضحة أن هذا الانخفاض يعود إلى تدني نسبة المهاجرين في جيل التجنيد وانخفاض نسبة المتجندين في صفوف المتدينين اليهود. وأشارت إلى أن ٢٥٠٠ من الحريديم (المتدينين اليهود) يخدمون اليوم في أسلحة الجو والبحرية وغيرها، وأن السنوات الثلاث الأخيرة سجلت تجنيد ١٥٠٠ مجند إضافي وأن الجيش الإسرائيلي يسعى إلى زيادة المجندين في صفوف المتدينين والحريديم، بموازاة تشجيع التطوع للجيش وزيادة استيعاب المهاجرين الجدد^(٧٨).

ومن الواضح أن الجماعات اليهودية الأصولية داخل «إسرائيل» ليست مجموعات هامشية صغيرة، ومجرد بقايا من الثقافة اليهودية التقليدية. فهم يحظون باحترام واسع من قبل الجمهور الإسرائيلي والكثير من اليهود في

(٧٧) دراسة لمجلة فورين بوليسي: وجهة «إسرائيل» الديموغرافية تتغير، - zionist-lobby

الشتات، ولديهم قدر كبير من التأثير على الحكومة، وخاصة حكومات الليكود، كما أن أعضاء غوش إيمونيم يشكلون نسبة كبيرة من وحدات النخبة في الجيش الإسرائيلي، وهم أكثر استعداداً للتعامل مع الفلسطينيين بطريقة أكثر وحشية من بقية الجنود الإسرائيليين^(٧٩).

ويشير أنطوان شلحت الباحث الفلسطيني المختص بالشأن الإسرائيلي إلى أن دافيد بن غوريون، أول رئيس للحكومة الإسرائيلية، درج على التباهي بأن سرّ قوّة «إسرائيل» على الرغم من كونها دولة صغيرة كامن في واقع أن «الشعب كله هو جيش». وهذا يعني أن الشعب على الدوام معبأ لحمايتها من مخاطر رهيبة تترصد بها، ولن يُكتب لها الزوال مطلقاً. ويرى شلحت أنه مهما حدث من تغيير في التوجهات المتعلقة بالمؤسسة العسكرية فإن الإسرائيليين على اختلاف أصولهم ونوازعهم يعتمدون على المؤسسة العسكرية في ظل الخوف من تداعيات لها علاقة بالتسوية مع الفلسطينيين وبعض العرب لا يضمن هؤلاء مساقاتها. ومن هنا بات هدف الحفاظ على الجيش يعادل هدف الحفاظ على الشعب، تفكيراً وقيمة، كما لو أنه بدون الجيش لا وجود للشعب، أو حتى للمجتمع المدني. ومعروف أنه على كل رجل إسرائيلي دون الخمسين من عمره الالتحاق سنوياً بدورة خدمة الاحتياط العسكرية لمدة شهر، وبالاستناد إلى هذه الحقيقة فإن يغثال يادين، الذي شغل في السابق منصب رئيس هيئة الأركان العامة، قال ذات مرة، وربما ليس على سبيل التفكّه فقط، «إن المدني في «إسرائيل» هو جندي في إجازة سنوية تدوم أحد عشر شهراً»^(٨٠).

ويتابع شلحت تحليله بالإشارة إلى أن أبرز ثوابت تفكير المجتمع الإسرائيلي تتمثل في أن ضمان وجود هذا المجتمع مرهون بالاعتماد على السيف

(٧٩) أنطوان شلحت، شواهد جديدة على أن «إسرائيل» جيش أكثر من مجتمع!، المركز الفلسطيني للدراسات (مدار)، رام الله فلسطين، المشهد الإسرائيلي، الثلاثاء ٢٥ - ١٠ - ٢٠١١، ع ٢٦٧ السنة التاسعة، ص ١.

(٨٠) م.ن، ص، ن.

والقبضة الحديدية فقط، وأن جميع الغايات الاجتماعية العمومية تتقزم إزاء الغاية المركزية وهي ضمان البقاء، وعلى الجميع أن يكون مجنّداً، وأن يقبل بدهاءة أي ضحايا بشرية تُقدّم على مذبح حماية الوجود، فضلاً عن تقبل أي أثمان باهظة في سائر المجالات تترتب على تدعيم الوسائل المطلوبة لهذه الحماية. وشهدت «إسرائيل»، ارتباطاً بتنفيذ أول مرحلة من صفقة تبادل الأسرى مع حركة حماس في مقابل الإفراج عن الجندي غلعاد شاليت، ما يشبه الكرنفال الدوري في سياق إعادة تقديس هذه الثوابت، وفي طليعتها ضرورة الجيش لوجود الشعب. وليس من المبالغة القول إن استعادة هذا الجندي تهدف، من جملة ما تهدف، إلى تعزيز معادلة الشعب كله جيش، خصوصاً في ظل تأكلها جرّاء الإخفاقات العسكرية والاستخباراتية المتكررة في الآونة الأخيرة، بما في ذلك الفشل في الإفراج عن هذا الجندي بواسطة عملية عسكرية، وما تسبب به هذا التآكل وتلك الإخفاقات من تصاعد الجدل في شأن تضخم الميزانية الأمنية الإسرائيلية، وظهور تلميحات إلى أن هذا التضخم يقف في صلب أسباب تفاقم المشكلات الاجتماعية التي أسفرت عن اندلاع حملة احتجاج غير مسبوقه، فضلاً عن إبداء نحو نصف الإسرائيليين تأييدهم تقليص هذه الميزانية، وفقاً لاستطلاع مؤشر السلام الإسرائيلي لشهر أيلول ٢٠١١، واعتبار الأغلبية العظمى من الجمهور اليهودي أن الهدف الأول الذي يقع على الدولة العمل من أجل تحقيقه هو تقليص الفجوات الاجتماعية والاقتصادية بينما احتل الأولوية الثانية تعزيز قوة «إسرائيل» العسكرية^(٨١).

ويلفت شلحت إلى أحدث استطلاع للرأي العام الإسرائيلي أجري عشية تنفيذ صفقة التبادل وأعرّب فيه ٥٠ بالمئة من المستطلعين عن تخوفهم من إلحاق أضرار كبيرة بأمن السكان المدنيين في «إسرائيل» عقب إطلاق سراح أسرى فلسطينيين في إطار الصفقة، بينما أكد ٤٨ بالمئة أنهم لا يتخوفون من احتمال كهذا. إضافة إلى ما سبق يستعيد شلحت تأكيد أحد كبار

(٨١) م.ن، ص.ن.

أساتذة العلوم السياسية أن الشبكة الأمنية هي الأبرز من بين أربع شبكات غير رسمية، وغير منتخبة، وتعمل غالباً في الخفاء، وهي التي تحكم في «إسرائيل»، ويرتبط بها زعماء أقوياء، وإلى حد ما يخضعون لسيطرتها أيضاً (الشبكات الأخرى هي برأيه شبكة أصحاب رؤوس الأموال، وشبكة الحاخامين الحريديم، وشبكة كبار الموظفين)، لافتاً إلى أن ممثلي السيادة الحقيقية في أنظمة الحكم الديمقراطية التي تدعي «إسرائيل» الانتماء إليها - أي الشعب - مجردين من أي قوة. ويمكن أن نضيف إلى ما قاله، من دون خطر الوقوع في المبالغة، أن أغلبية هذا الشعب ترى أنه يجب ألا تعلق قوة على قوة الجيش^(٨٢).

طبيعة القوة الاقتصادية والمالية

منتصف أيار من عام ١٩٧٥ فازت كتلة اللكود اليمينية بالانتخابات وتسلمت زمام الحكم، ما أدى إلى تحوّل في السياسة الاقتصادية التي أتبعها حزب العمل منذ نشوء «إسرائيل»، وتمثّل هذا التحوّل في اعتماد الاقتصاد الحر وعدم تدخل الحكومة بشكل فعّال، مع التركيز على جذب رؤوس الأموال اليهودية والأجنبية في محاولة لتحويل «إسرائيل» إلى مركز مالي عالمي على غرار سويسرا وتحقيق حلم الاستقلال الاقتصادي، وكان في مقدّم الإجراءات المتخذة رفع الرقابة عن العملة الصعبة. بيد أن هذه السياسة أدّت إلى جملة من النتائج أبرزها التضخم المالي وارتفاع مستمر في موجات الغلاء الذي وجد ردود فعل غير مسبوقه لقطاعات واسعة من الكتل الفقيرة والمتوسطة الدخل.

بيد أن أفضل وصف للسلطة في «إسرائيل» عشية القرن الواحد والعشرين لخصّ في كلمتين: ملكية الغائبين. وتمثّلت الميزات الرئيسية لهذه الملكية بما يلي : ١ - مركزية عالية وتكامل للشركات، وربما أعلى مما شهده أي بلد في أي وقت مضى، ٢ - تزايد المصالح ذات الطابع العابر للوطن، ٣ -

(٨٢) م.ن، ص. ن.

إعادة هيكلية مستمرة للأصول القابلة للبيع^(٨٣). إن الميزة الأولى، وكانت على النحو المشار إليه، تمثلت في مركزية عالية المستوى للشركات. «وفي قلب كل ذلك الرأسمال المهيمن، والذي يتألف من عدد قليل من التكتلات العملاقة، جنباً إلى جنب مع العديد من الشركات الكبرى ولكن الأكثر تركيزاً، ولكنها مجموعة كبيرة من الشركات المملوكة للحكومة والقابلة للتصفية الذاتية وفي طريقها إلى الخصخصة. وعلى الرغم من المعرفة الجيدة بالملكوّنات الرئيسية لهذه البنية الأساسية فإن هيكلها لا يمكن وصفه إلا بعبارات عامة إلى حد ما في كثير من الأحيان. ويعود ذلك لسبب واحد هو أن العديد من شركاتها يرتبط بعضها ببعض من خلال علاقات معقدة عابرة للملكية، حتى وإن كانت أصول هذه الشركات واضحة من الناحية النظرية ففي كثير من الأحيان تم إخفائها بواسطة سلاسل ملكية طويلة مما يؤدي إلى شركات وهمية في الخارج. والسبب الآخر هو أن الجوهر كان يتغير بسرعة كبيرة حتى أن معظم الأوصاف الدقيقة سرعان ما تسمى قديمة»^(٨٤).

وفي سياق تكريس الربط مع الرأسمال الخارجي عملت الحكومات منذ التسعينيات على تحرير السوق المالية من سيطرة الحكومة ورقابتها، انسجاماً مع تراجع تأثير ما أطلق عليه اسم اليسار الصهيوني ممثلاً بحزب العمل الذي بدأ نفوذه الحكومي يتهاوى. وقد «ابتدأت عملية بيع حصة الحكومة في المصارف منذ سنة ١٩٩٠ لكنها سارت ببطء... لكن بعد عام ١٩٩٧ تسارعت عملية الخصخصة وتم بيع الحصة المسيطرة على أكبر مصرف في «إسرائيل»، وهو هبوعاليم، لمجموعة أميركية - إسرائيلية للاستثمار»^(٨٥).

وكانت السمة المميزة الثانية لهيكل السلطة الإسرائيلية تزايد ما يُسمّى

Jonathan Nitzan and Shimshon Bichler. The Global Political Economy (٨٣) of Israel. First published 2002 by Pluto Press 345 Archway Road, London N6 5AA Copyright © Jonathan Nitzan and Shimshon Bichler 2002,p: 84-85

Loc.cit:p:85 (٨٤)

(٨٥) فضل مصطفى النقيب، اقتصاد «إسرائيل» على مشارف القرن الحادي والعشرين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ص ١٧٧.

بسمة «العابرة الوطنية»، فبحلول عام ١٩٩٨ ارتفعت الملكية الأجنبية إلى ١٤,٤ في المئة في سوق تل أبيب، بعدما كانت ٣ في المئة فقط قبل خمس سنوات حسب معطيات بنك «إسرائيل» المركزي لعام ١٩٩٨. ففي أقل من عقد من الزمان كانت «إسرائيل» عرضة لغزو جحافل المستثمرين الأجانب، من الأفراد أو المؤسسات، أكانوا محافظين أم مغامرين، ومحترمين أم مجرمين ومحكومين جنائياً، الذين تم جذبهم من قبل آفاق السلام ورائحة ثماره. هذا الغزو - الذي رحبت به عاصمة «إسرائيل» بكل إخلاص - غير جذرياً طبيعة السلطة. وبات العديد من الشركات المحلية الرائدة في «إسرائيل» الآن يسيطر عليه الأجانب كلياً أو جزئياً^(٨٦). وتشير بعض الدراسات حول الروابط الاقتصادية مع الخارج إلى أنها تأخذ طابعاً إجرامياً يتصل بمؤسسات في الخارج عليها شبهات إجرامية.

وقد تمثل أهم جانب من جوانب هذه العملية التي تتعلق بالتحول في الخارج في هيمنة رأس المال العابر للوطن نفسه، ففي أواخر ١٩٩٠ كانت مجموعتا أريسون وكور، وهما من المجموعات الخمس الأعلى فعالية، في أيد أجنبية^(٨٧). وعلى الأغلب فإن هذه المجموعات هي بيد عائلات يهودية ثرية لها امتدادات في الخارج. فقد دلّ بحث أجراه الخبير الأميركي أندرو أول على أن «إسرائيل» تحتل المرتبة الثانية في العالم بعد تايلاند من حيث نسبة الشركات الكبرى المملوكة من طرف عائلات، مقارنة بعدد الشركات الكبرى الأخرى التي تكون فيها الملكية متعددة الجهات. ويقول البحث إنه من أصل أكبر ٥٧ شركة في «إسرائيل» فإن ٣٨ شركة منها خاضعة لسيطرة عائلية، مقابل ١٩ شركة بملكية متعددة، وأما في تايلاند فإن هناك ٦١ شركة بملكية عائلية مقابل ١٩ شركة بملكية متعددة. ويضيف البحث أن نسبة الملكية العائلية في «إسرائيل» لا نظير لها في الدول المتطورة، ففي الولايات المتحدة

Jonathan Nitzan and Shimshon Bichler, the Global Political Economy of (٨٦)

.Israel, p: 88

Ibid.p:89 (٨٧)

وبريطانيا مثلاً تصل نسبة الشركات الخاضعة للملكية عائلية إلى ٣٣٪ من عدد الشركات الكبرى الخاضعة للملكية متعددة. وكان أندرو أول قد عرض بحثه أمام اللجنة الإسرائيلية الخاصة التي تبحث في مسألة الاحتكارات في إسرائيل، وقد أجرى بحثاً شمل العديد من الدول المتطورة وفحص فيه كيفية تحول الملكية في أكثر من ألف شركة في العالم ابتداء من العام ١٩٩٦ إلى العام ٢٠٠٦.^(٨٨)

بيد أن كل ذلك لا يمنع من ازدياد نفوذ بعض الشخصيات الدينية على قاعدة الإيمان بقدرات هؤلاء غير المسبوقة في دعم النافذين في «إسرائيل» على الصعد المختلفة بما فيها الصفقات التجارية، مثل «الحاخام بنتو الذي يستشار في الصفقات التجارية والأمور الشخصية وأتباعه أثرياء وناقدون... وكانت هذه الظاهرة مميزة المجتمعات اليهودية الفقيرة ذات الجذور الشرق أوسطية غير أنها انتشرت في الأعوام الأخيرة بين النخبة العلمانية للبلاد^(٨٩). وهذا مؤشر على ازدياد تأثير التوجهات الدينية والمفهوم العنصري للصهيونية في المجتمع الإسرائيلي، حيث عبر ٧٠٪ من اليهود الإسرائيليين في استطلاع أجرى في «إسرائيل» العام الفائت أنهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار.^(٩٠)

وتشير المعطيات الاقتصادية في «إسرائيل» إلى أن العام ٢٠١٠ شهد نجاحاً عبر تدفق استثمارات خارجية مباشرة وصلت قيمتها إلى ١٥ مليار دولار ما اعتبر حجماً ضخماً في ظل الأزمة المالية العالمية^(٩١).

(٨٨) «إسرائيل» الثانية عالمياً من حيث عدد الشركات الخاضعة للملكية عائلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مدار، المشهد الإسرائيلي، رام الله، فلسطين، العدد ٢٧١ السنة العاشرة، الثلاثاء، ١-١٠-٢٠١٢.

(٨٩) تحقيق، الحاخام بينتو على كل شفة ولسان... واسمه الأكثر لمعاناً في «إسرائيل» يستشار في الصفقات التجارية والأمور الشخصية وأتباعه أثرياء وناقدون، جريدة النهار، بيروت، ٢٦ شباط ٢٠١٢، ص ١٣.

(٩٠) المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، المشهد الإسرائيلي، المدار، رام الله، فلسطين، العدد ٢٧٤ السنة العاشرة، ٢٠١٢.

(٩١) المشهد الإسرائيلي لعام ٢٠١٠ الملخص التنفيذي، مدار، رام الله - فلسطين، ص ٢٣.

وعلى صعيد تأثير الوضع الاقتصادي على البنية الاجتماعية فإن المجتمع الإسرائيلي لا يزال يواجه تبعات كونه مجتمع مهاجرين، ما يؤدي على نحو دائم إلى التصدع القومي بين اليهود وسكان البلاد الأصليين من الفلسطينيين الذين باتوا مواطنين وهو أكثر التصدعات ثباتاً. إضافة إلى ذلك هنالك تصدعات خاصة بالمجتمع اليهودي نلاحظ تغيرات في حدتها بين الفينة والأخرى، مثل التصدع الديني بين اليهود المتزمتين دينياً (الحرديم) والفئات اليهودية العلمانية. وهنالك التصدع الطائفي بين المهاجرين اليهود من أصول مختلفة، بسبب مميزات المجتمعات التي هاجروا منها. وقد غلب على هذا التصدع اعتباره تصدعاً بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين. والتصدع الآخر هو التصدع الطبقي بين فئات الفقراء أو أصحاب الدخل المنخفض وبين الطبقات الغنية^(٩٢). ومن دلالات ذلك أن التصدعات بمختلف أشكالها تبقي الفلسطينيين في أسفل القائمة ليس على مستوى الحقوق فحسب وإنما على صعيد المداخل ومستويات المعيشة حيث بلغ معدّل رواتب اليهود الأشكناز ١٣٣٪ من معدّل الرواتب العام ورواتب اليهود الشرقيين ١٠٧٪، أما العرب فمعدّل الرواتب عندهم لم يزد عن ٦٨٪ من المعدّل العام^(٩٣).

ولقد أظهر تقرير مركز أدفا الصادر في نهاية العام ٢٠١١ اتساع الفجوات الاجتماعية بين شريحة المداخل الأكبر والشرائح الفقيرة، وقد بلغت الفجوة بين ذوي أعلى المداخل وأقلها ١١٤ ضعفاً. ويؤكد التقرير أن النمو الاقتصادي الذي شهدته «إسرائيل» على مدى السنوات الماضية لم يصل إلى الشرائح الفقيرة بالقدر الذي استفادت منه الشرائح الغنية. ويعزو واضعو التقرير اتساع عدم المساواة إلى السياسة المعتمدة منذ ثلاثة عقود والقائلة بأن النمو يجب أن يخضع لقيادة القطاع الصناعي فيما يقوم الجهاز

(٩٢) نبيل الصالح، المشهد الاجتماعي، المناعة الاجتماعية والتصدعات في المجتمع الإسرائيلي، تقرير مدار الاستراتيجي ٢٠١١، المشهد الإسرائيلي، رام الله - فلسطين، ص ٢٤٤.
(٩٣) الفجوات في المداخل بين أغنى الشرائح وأفقرها تسجل ذروة جديدة، المشهد الاقتصادي،! المركز الفلسطيني للدراسات، مدار، رام الله - فلسطين. العدد ٢٧٠ السنة التاسعة الثلاثاء ٢٧-١٢-٢٠١١، ص ٤.

الرسمي بخفض أدواره وميزانياته. وعلى سبيل المثال خفضت الحكومة نفقاتها تفادياً لمنافسة القطاع الصناعي. ويقول التقرير إن الحكومة أقدمت على خصخصة أموال الأذخار التقاعدي لإتاحة استعمال هذه الأموال كائتمان للمجموعات الرأسمالية، كما خفضت الحكومة ضريبة الشركات في محاولة لجذب الشركات الأجنبية. وقامت الحكومة بهذه الإجراءات وغيرها اعتقاداً منها بأن نمو القطاع الصناعي سوف يغطي كل احتياجات المجتمع الإسرائيلي. ويرى التقرير أن النمو الاقتصادي هو أمر في غاية الأهمية ولا يجوز قصره على القطاع الصناعي فقط. وأن المجتمع الإسرائيلي بحاجة إلى توسيع دور الجماهير والدولة لجهة خفض عدم المساواة الضخم، للتعويض عن الأضرار اللاحقة بالفئة العشرية الأخيرة، ولضمان أن يكون النمو في المستقبل ثمرة يشارك فيها كافة الإسرائيليين، لافئات قليلة وضيقة من السكان.

ويتعامل التقرير، كما باقي التقارير الاجتماعية والاقتصادية، مع عشر مراتب لمستوى دخل العائلة، بحيث إن المرتبة العليا هي للأكثر دخلاً والدنيا للأقل دخلاً، ولكن هذا التوزيع لا علاقة له بعدد السكان، بمعنى أن عدد السكان في كل واحدة من هذه المراتب يزداد كلما تدّنت المرتبة. ويظهر من التقرير أنه في الفترة ما بين العامين ٢٠٠٠-٢٠١٠ ارتفع الدخل السنوي لغالبية العائلات بنسب ضئيلة، فيما ارتفع دخل العائلات الأكثر ثراءً بنسبة ١٩ ٪، ويعود هذا الارتفاع الحاد إلى الارتفاع الكبير الذي شهده أجر المديرين الكبار في السوق، ففي الشركات الخمس والعشرين المدرجة على مؤشر البورصة في تل أبيب ارتفعت كلفة أجر المديرين بمعدل ١٤٢ ٪ في الفترة ما بين العامين ٢٠٠٠-٢٠١٠. ويرى التقرير أن معطيات الإيرادات في العقد الماضي تتناقض مع الوعود التي يرددها كبار المسؤولين في المؤسسة الرسمية والاقتصاد بزعمهم أن النمو الاقتصادي سوف يؤتي ثماره لما فيه مصلحة الجميع^(٩٤).

(٩٤) م.ن. ص، ن.

وفي نهاية المطاف، ورغم أن الدخل القومي في العام ٢٠١٠ كان أعلى بنسبة ٣٦ ٪ مما كان عليه في العام ٢٠٠٠، فإن إيرادات الغالبية الساحقة من العائلات، وليس كلها، ارتفعت بنسب محدودة فقط. أما الشريحة العليا التي نسبتها في المجتمع ١٪ فارتفعت إيراداتها ارتفاعاً كبيراً بفضل النمو الاقتصادي.

ويقول التقرير: في العام ٢٠١٠ ارتفعت مداخيل كافة العائلات في «إسرائيل» ولكنها عادت، في معظم الحالات، إلى مستواها الذي سجلته في العام ٢٠٠٨ قبل انفجار الأزمة المالية العالمية. وقد سجلت المراتب الخمس الدنيا الارتفاع النسبي الأكبر، بعدما كانت قد تضررت أكثر من غيرها في العام ٢٠٠٩. مع ذلك فقد استفادت المرتبة العليا من ارتفاع هو الأكبر كميّاً إذ بلغ ٥٠٠ شيكل للشهر الواحد، أي ما يعادل حوالي ١٤٠ دولاراً، وفق معدل الصرف الذي كان قائماً في العام ٢٠١٠. وجاء في التقرير أنه إذا ما استعرضنا الوضع على امتداد العقد الماضي نرى أن المرتبة العليا كانت أول المستفيدين من ارتفاع المداخيل، ففي الفترة بين ٢٠٠٠ و ٢٠١٠ ارتفع دخل هذه العائلات بنسبة ٣,٧٪، أي ما يعادل ١٦٨٢ شيكلاً (٤٦٥ دولاراً). وفي العام ٢٠١٠ شهد الدخل الشهري للأجراء الأشكناز (اليهود الغربيين) انخفاضاً قياساً على معدّل الرواتب العام للأجراء بواقع ٨ نقاط بالمئة، من ١٤١٪ فوق معدّل الرواتب العام في العام ٢٠٠٩ إلى ١٣٣٪ فوق معدّل الرواتب العام في ٢٠١٠. في المقابل، ارتفع دخل اليهود الشرقيين بواقع أربع نقاط بالمئة إلى مستوى ١٠٧٪ فوق معدّل الرواتب العام. أما دخل الأجراء العرب الشهري فقد بقي على حاله دون تغيير بواقع ٦٨٪ من معدّل الرواتب العام، على غرار مستوى دخلهم (نسبياً) في العام ٢٠٠٠، وفي العام ٢٠١٠ شهدت كلفة الدخل السنوي المتوسط لكبار المديرين في الشركات الخمس والعشرين الأكبر التي تدرج في مؤشر البورصة ارتفاعاً بواقع ٣٠٪ مقارنة بالعام ٢٠٠٩ وبلغت زهاء ١٢ مليون شيكل في العام لكل مدير، أي ٣٣١٤ مليون دولار سنوياً، وهو

ما يعادل ١١٤ ضعفاً من معدل الرواتب العام، علماً أن هذه النسبة كانت في العام ٢٠٠٠ لا تتعدى ٤٩ ضعفاً^(٩٥).

وبما أن «إسرائيل» تعتمد على الصناعات العسكرية إلى درجة كبيرة فقد تحوّلت الصناعات العسكرية الإسرائيلية إلى أكبر المرافق الصناعية في «إسرائيل»، حيث تصل نسبة العاملين في هذا المرفق إلى نحو ٤٣٪ في القطاع الحكومي و ٥٠٪ في القطاع الهستدروتى و ١٠٪ في القطاع الخاص. وبلغ مجمل العاملين في الصناعات العسكرية (منتصف التسعينيات) نحو ٣٠٪ من العاملين في القطاع الصناعي ونحو ٨٪ من اليد العاملة في «إسرائيل»^(٩٦) وفوق ذلك فإن الصناعات العسكرية الإسرائيلية تجد أسواقاً لها واسعة في الخارج، حتى أنها أصبحت تعدّ ضمن الدول المتقدمة في هذا المضمار. ففي عام ٢٠١٠ تمكنت «إسرائيل» من بيع أسلحة للخارج بقيمة ٧,٢ مليارات دولار، وأوضحت وزارة الدفاع الإسرائيلية أن مبيعاتها العسكرية زادت ٣٠٠ مليون دولار مقارنة بعام ٢٠٠٩ رغم الأزمة الاقتصادية العالمية. وبارتفاع مبيعاتها العسكرية أصبح «إسرائيل» في مقدمة الدول المصنعة للأسلحة إلى جانب كل من الولايات المتحدة وروسيا وفرنسا وبريطانيا^(٩٧).

بيد أن هذه الآفاق قد لا تبقى على حالها بسبب حالة الفساد التي تلازم التجارة الإسرائيلية كأحد أشكال التلازم الاقتصادي مع الشركات في الخارج. فقد تساءل تقرير موسّع نشر في صحيفة «معاريف» الإسرائيلية عام ٢٠١٠ عما إذا كانت تجارة السلاح الإسرائيلية تفقد مكانتها وصارت في خط تراجع. وذكرت أنه فيما شهدت هذه التجارة في العالم اتساعاً بنسبة ٢٢ في المئة في العام الأخير، سجّلت الشركات الإسرائيلية تراجعاً كبيراً في السنة التالية. وعزت الصحيفة التراجع إلى زيادة اكتشاف مظاهر الفساد

(٩٥) م.ن، ص.ن.

(٩٦) إحسان أديب مرتضى، الأمن القومي الإسرائيلي، في تطورات المفهومية والعملائية، ص ٢٢٥.

(٩٧) ارتفاع صادرات السلاح الإسرائيلية الجمعة، ١٧ حزيران/يونيو ٢٠١١ ٢١:٠٨، Copyright حزيران/يونيو ٢٠١١ esvedzionist-lobby ٢١:٠٨ فريق عمل اللوبي الصهيوني.

في الصفقات مع مختلف الدول، واعتقال العديد من الوسطاء أو التجار الإسرائيليين^(٩٨).

وعلى الصعيد الإثنولوجي يمكن القول إن العلاقة التبادلية بين الإثنية والطبقة الاجتماعية اقتصادية في «إسرائيل» ما تزال تشكل المحور الرئيسي الذي يرسم الشرخ الأشكنازي - الشرقي علي امتداده. وإلى جانب الانقسام الأرثوذكسي - العلماني، يبدو أن «تصلب» الإثنية وتحوّلها إلى طبقة اجتماعية يمثل الشرخ الأكثر خطورة الذي يقسم المجتمع اليهودي الإسرائيلي اليوم من الداخل. وفي الهيكلية الطبقية لـ «إسرائيل» أوآخر الثمانينيات كان الأشكنازيون يسودون الطبقات العليا في حين كانت الطبقات الدنيا شرقية بأكثريتها الغالبة. وكان الشرقيون ينتقلون باستمرار إلى الطبقة الوسطى الكبرى، ولو بشكل تدريجي. ولكن غالب الظنّ أن السفارديم الذين يرتقون إلى الطبقة الوسطى لن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم شرقيون؛ بل يميلون إلى التشبه بالأشكنازيين. كما أن الشرقيين الذين يرتقون السلم الاجتماعي يضعفون علاقاتهم بجماعاتهم الإثنية الخاصة^(٩٩).

(٩٨) «معاريف»: شركات السلاح الإسرائيلية تفقد مكانتها.. بسبب الفساد السبت، ٠٣ نيسان/أبريل ٢٥/٩/٢٠١٠ All Rights Reserved zionist-lobby فريق عمل اللوبي الصهيوني Copyright .

(٩٩) المجتمع الإسرائيلي والدولة الصهيونية، أوراق باحث، ص ٧١.

آفاق المستقبل في ما يتعلق بإثنيات الكيان الصهيوني

آفاق المستقبل

في ما يتعلق بإثنيات الكيان الصهيوني

إن استمرار الكيان الصهيوني يعتمد إلى حد كبير على عدّة عوامل منها استمرار تدفق المستوطنين. ويبدو «أن اليهود المتدينين هم أكثر استعداداً للهجرة إلى «إسرائيل» من إخوانهم اليهود العلمانيين وكذلك أكثر قدرة على الانخراط الفوري في المعتزك السياسي الإسرائيلي بدءاً من لحظة الوصول. ولذلك سبيان رئيسيان: الأول كونهم يحسنون اللغة العبرية كتابة وكلاماً تبعاً لدراساتهم الدينية التي من النادر أن يتوجه إليها سواهم من المهاجرين. أما السبب الثاني والأهم فهو اقتناعهم المطلق بسيادة الحقوق اليهودية على الأرض المقدسة ورفضهم الكامل لأية مطالب عربية. كل هذا لأن الرب في زعمهم قال لإبراهيم «لنسلك أعطيت هذه الأرض». وكان ذلك قبل خمسة آلاف سنة»^(١٠٠). ومن رموز هذا الصنف من المهاجرين الحاخام مئير كاهانا الذي نقل الرابطة اليهودية التي تقوم على العنف من الولايات المتحدة إلى «إسرائيل» في منتصف السبعينيات وجوزف مندليشتش من ليننغراد الذي كان يعارض إعادة سيناء إلى مصر وانضمّ إلى حزب هتحياء اليميني المتطرف، وكلاهما أصبح في الكنيست في أقل من عام بعد وصوله إلى فلسطين المحتلة.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن مجموع السكان في «إسرائيل» قد وصل

(١٠٠) نبيل محمود السهلي، محاولات إسرائيلية لجذب يهود تونس، جريدة الشرق الأوسط الثلاثاء ٢٧ صفر ١٤٣٢ هـ ١ فبراير ٢٠١١، العدد ١١٧٥٣.

في مطلع عام ٢٠١١ إلى ٥,٧ ملايين يهودي، ويشكل اليهود الأشكناز الغربيون من أصول أميركية وأوروبية نحو ٤٠٪ منهم. فيما يشكل اليهود الشرقيون (السفارديم) من أصول أفريقية وآسيوية نحو ٣٦٪ من إجمالي اليهود في «إسرائيل». ويمثل يهود الصابرا لأب يهودي مولود في فلسطين النسبة الباقية ومقدارها ٢٤٪. واللافت أن اليهود من الدول العربية في «إسرائيل» باتوا يشكلون نحو ٢٠٪ من إجمالي اليهود في إسرائيل، والقسم الأكبر منهم هم من يهود المغرب العربي والعراق على وجه الخصوص^(١٠١).

وقد بات هاجس الهجرة اليهودية يؤرّق أصحاب القرار في إسرائيل، ومراكز البحث الإسرائيلية، نظراً لتراجع أعداد المهاجرين بعد أفول الهجرة اليهودية من دول الاتحاد السوفياتي السابق، حيث تم وصول نحو مليون يهودي من تلك الدول بعد انهيار المنظومة الاشتراكية. ولهذا يسعى المخططون الاستراتيجيون في «إسرائيل» إلى فتح قنوات للهجرة من دول غير أوروبية مثل البرازيل والأرجنتين، في وقت تراجعت فيه أرقام الهجرة اليهودية من دول متقدمة في العالم مثل كندا وفرنسا وأميركا، بسبب عدم وجود عوامل طاردة لليهود من تلك الدول. «وتبرز في «إسرائيل» ظاهرة التصادم والصراع بين الإثنيات المكوّنة لكيانها، ورغم أن الصراع الرئيسي هو مع العرب المقيمين في فلسطين، باعتبار أنهم يشكلون الخطر المركزي على السياسات الرامية لتأكيد يهودية الدولة وإعطائها طابعاً قومياً جامعاً؛ فإن الخلافات بين الأطياف اليهودية المتنوعة إثنياً لا تزال من العلامات البارزة التي تصبغ العلاقات بين مختلف الأطياف والإثنيات في هذا الكيان. ومن الأشكال البارزة لهذا الخلاف وجود الصراع الديني/ العلماني، وخاصة بين المتدينين واليهود الروس، إذ يهاجم المتدينون طابع الهجرة الروسي، ويتهمون المهاجرين الروس بأنهم غير يهود، ويصفونهم بصفات غير أخلاقية. وأهم المظاهر لذلك «أحداث الخنزير» التي جرت في بيت شيمش بين المتدينين والمهاجرين الروس، حيث قال الحاخام دافيد بينزري

(١٠١) م.ن.

«إن الروس يجلبون معهم المكائد والنجاسة» مما أدى إلى اشتعال المظاهرات في بيت شيمش، وطالب رئيس حزب «إسرائيل بعليا» اعتذاراً علنياً من حركة شاس، وأكد وزير الداخلية نتان شيرانسكي (إسرائيل بعليا): «من الصعب أن نستوعب ما حصل طوال سنوات ونحن نحلم بأن نكون شعباً واحداً في دولتنا، والآن نسمع بأنهم يريدون إقامة مدن للأغراب»، في حين أكد إيهود باراك على ضرورة اندماج المهجرين، بينما أكدت شاس على موقفها بوجوب محاربة المظاهر غير اليهودية التي أحضرها المهجرون الروس معهم^(١٠٢). ويذهب بعض الاستطلاعات الإسرائيلية التي جرت وسط المهجرين الروس إلى القول بأن ظاهرة عدم الاندماج واضحة، فقد أكدت دراسة أجراها د. يوحنا بيرس من قسم الاجتماع في جامعة تل أبيب أن:

٨٪ من المهجرين الروس يعتبرون أنفسهم إسرائيليين.

٤٧٪ من المهجرين الروس يعتبرون أنفسهم روساً.

٤٥٪ من المهجرين الروس يعتبرون أنفسهم يهوداً.

وهو ما اعتبر مؤشراً على فشل الدمج. كما بين الاستطلاع أن الفشل في الهوية كنموذج للتوحد والتماثل تهمة توجه إلى المجتمع الإسرائيلي، وبالتالي فإن المجتمع مقسم إلى طوائف وثقافات متعددة. والملاحظ كذلك - وهو الأهم - أن ثقافة المهجر هي ثقافة البلد الأصلي، فهناك ثقافة روسية ورومانية ومغربية، وإن كان المهجر قد هجر قبل عشرين أو أربعين عاماً. كما أن هناك تماثلاً بين بعض الثقافات كالمثدينيين والشرقيين والعلمانيين والأشكناز^(١٠٣).

وتوضح عملية استيعاب الهجرة أن هناك مشكلة أساسية تكمن في التفرقة بين المهجرين، بين القادمين من أوروبا أو الولايات المتحدة والقادمين من

(١٠٢) جعفر هادي حسن، صراع الحريديم والعلمانيين على المدن في «إسرائيل»، الحوار المتمدن - العدد: ٣٦٠٩ - ١٦-١-٢٠١٢.

(١٠٣) خالد شعبان، اليهود المهجرون إلى «إسرائيل» - الموجة الأخيرة، مجلة مركز التخطيط الفلسطيني، رام الله - فلسطين، العدد الثالث والرابع يوليو / ديسمبر ٢٠٠١.

أثيوبيا من ناحية، وبين من هو أبيض أو أسود أو علماني أو متدين من ناحية ثانية، بالإضافة إلى المهجّرين الروس الذين يعتزون بروسيّتهم، ويشعرون بأنهم أرقى أقلية في «إسرائيل». والواضح أن هناك عنصرية كاملة تكمن في عملية استيعاب المهجّرين، وهذه المشكلة كانت موجودة قبل الإعلان عن قيام «إسرائيل»، واستمرت بعد قيامها، وبالتالي أثبتت التجربة أن «إسرائيل» قد فشلت في صهر اليهود الشرقيين في الثقافة الأشكنازية، لأن الشرقيين رفضوا التخلي عن ثقافتهم وتبني الثقافة الجديدة، مما أدّى إلى وجود نوع من التعددية الثقافية. كما كان لهذه المشكلة انعكاساتها على السياسة السكانية في «إسرائيل»، والتي ظهرت مؤثراتها في وجود أنماط معيّنة في السكن، منها وجود الشرقيين في القرى الزراعية البعيدة عن المدن وهي السكن المفضل للأشكناز. وقد كان لاستمرار هذه السياسة أثره على المهجّرين الجدد أيضاً، حيث اعتبر يهود الفلاشا مدينة بئر السبع مدينة العنصرية لعدم توفير الخدمات الضرورية فيها، يضاف إلى ذلك الفشل في عدم دمج اليهود الأثيوبيين في الحياة العامة، حيث يلاحظ أن نسبة ٧٥٪ منهم لا تستطيع الكتابة باللغة العبرية و ٥٠٪ لا تستطيع التحدث بها، وهو ما يفسّر بحد ذاته نسبة البطالة المرتفعة جداً بينهم والتي تبلغ ٤٠٪، مما يؤكد وجود بون ثقافي بين الأثيوبيين والإسرائيليين. يضاف إلى هذا الفشل ذلك الفشل الآخر الذي تمثل في عدم قدرة «إسرائيل» على استيعاب المهجّرين حسب كفاءاتهم العلمية، فمن الملاحظ أن أغلب المهجّرين الروس كانوا أصحاب خبرات علمية وأكاديمية، ولعل الظاهرة الأبرز في ذلك هي أن معظم الذين فشلوا في إيجاد عمل - حسب شهاداتهم العلمية - قاموا بالتعلم مرة أخرى، وبالتالي الانتقال إلى مجالات عمل جديدة، أهمها البرمجة الإلكترونية، وتشير الإحصاءات إلى أن ٣٠٪ من خبراء البرمجة في «إسرائيل» هم من المهاجرين الروس، الذين كانوا في السابق مهندسين، وأطباء ومعلمين، وهو ما يمكن تفسيره بأنه اندماج في سوق العمل^(١٠٤).

لقد عكست التنظيمات الأساسية الإسرائيلية صورة واضحة عن التركيبة الاجتماعية/الثقافية للمجتمع الإسرائيلي، حيث لوحظ بشكل واضح تعدد الأحزاب والحركات الإثنية، والطائفية، سواء قبل أو بعد الإعلان عن قيام «إسرائيل». وقد استمرت هذه الصورة، وأخذت أشكالاً وأنماطاً متعددة، سواء بتشكيل الأحزاب أو المنظمات الأهلية أو الأندية الاجتماعية. وما زالت «إسرائيل» تتميز عن غيرها من دول العالم بوجود أحزاب تنتمي إلى أقليات عرقية، وأهمها حالياً الحركات والأحزاب العربية، وكذلك الأحزاب والحركات الروسية. وأهم الأحزاب الروسية حزبا «إسرائيل بعليا»، و«إسرائيل بيتنا»، حيث شارك الحزب الأول في انتخابات ١٩٩٦ و١٩٩٩، وهو بزعامة نتان شيرانسكي، أما حزب «إسرائيل بيتنا» فهو بقيادة أفيغدور ليرمان وشارك في انتخابات ١٩٩٩، وقد حظي الحزبان بنجاح كبير. وأسباب النجاح كثيرة أهمها الطبيعة التنظيمية للمهاجرين، وقوتهم العددية حيث يشكلون سدس مجموع الناخبين، وبالتالي تحولوا إلى هدف رئيس للمرشحين سواء لرئاسة الوزراء أو الكنيست باعتبار أن القطاعات الأخرى كالعرب والمستوطنين والمتدينين هي قطاعات مضمونة، وهذا ما يفتقده المهجرون القادمون من أثيوبيا سواء من حيث القدرة التنظيمية أو القوة العددية، مما اضطرهم للمشاركة ضمن الأحزاب الكبيرة، كما شارك جزء منهم في انتخابات ١٩٩٩ ضمن حزب «إسرائيل بعليا»^(١٠٥).

وفي إطار آخر يرى اليهود الحريديم (المتشددون في يهوديتهم) ضرورة أن تكون لهم مناطق سكناهم الخاصة بهم، فهم يشعرون بالخطر من غيرهم وبالاطمئنان عندما يكونون في محيطهم وحدهم، حيث يتمكنون من ممارسة الشريعة طبقاً لأفكارهم ومعتقداتهم. وفكرة الانعزال عن الآخرين عند الحريديم هي جزء من الأفكار التي يتمسكون بها ويعتبرونها ضرورية لتحقيق يهوديتهم. وقد عبّر عن ذلك أحد حاخاميهم بالقول: «إن اليهود الحقيقيين يرغبون في أن يعيشوا كيهود، وليس لهم خيار إلا أن يفصلوا

(١٠٥) م.ن.

أنفسهم في أماكن منعزلة خاصة بهم)). ومنذ هجرتهم إلى فلسطين قبل ظهور «إسرائيل» أصبحت لهم مناطقهم التي لا يسكنها غيرهم. وعندما كثر عددهم أخذوا يزاحمون العلمانيين (والفلسطينيين أيضاً) على المدن، حيث تطوّر ذلك منذ سنين غير قليلة إلى صراع بين المجموعتين. وهم يسكنون عادة في منطقة معينة من المدينة أو البلدة المختلطة، ثم يبدأ زحفهم تدريجياً على الأحياء الأخرى، كما يحدث في القدس حيث كانوا يتركزون في حي «مئة شعاريم» وحده لعقود. وغالباً ما تكون البداية نزاعاً حول قضية واحدة كبناء كنيس أو مدرسة دينية يرفضها العلمانيون أو مسيح مختلط يرفضه الحريديم، ثم تتطور هذه القضايا إلى قضية أوسع تتعلق بسلوك الناس والطبيعة التي يجب أن تكون عليها البلدة أو المدينة^(١٠٦).

ومما يجعل هذا الصراع مستمراً أن الحريديم يحتاجون إلى عدد كبير من الوحدات السكنية كل سنة بسبب نسبة الولادة العالية عندهم. فمدينة «بني برك» الحريدية - التي يبلغ عدد نفوسها أكثر من مئة وستين ألفاً وهي أكثر المدن الإسرائيلية ازدحاماً وأكثرها فقراً - تفيض وحدها بعدة آلاف من الحريديم كل سنة، يبحثون عن أماكن يسكنون فيها. وجاء في تقرير إحدى اللجان المختصة بالسكان عام ١٩٩٩ أن الحريديم يحتاجون إلى خمسة آلاف وحدة سكنية كل سنة. وقد أقرّت الحكومة إنشاء أول مدينة خاصة بالحريديم تستوعب أكثر من مئة وخمسين ألفاً منهم في فلسطين ١٩٤٨، على الرغم من الاحتجاج الشديد من العرب وغيرهم من السكان. وقد توصل خير علم السكان أرنون سوفر في دراسة له إلى أن الحريديم سيكونون المسيطرين على «إسرائيل» والمتحكمين في سياستها اعتباراً من عام ٢٠٣٠ إذا استمر الوضع على حاله، ويقول إن ذلك سيكون نهاية تراجيدية للصهيونية، وإذا ما حدث ذلك فإن أحفاده سيغادرون البلد. ومن المدن التي أصبحت حريدية مدينة «نتيفوت» و«الداد» و«بيطار عيليت» التي أصبح شعارها مدينة التوراة على تلال يهودا، وكتب الشعار على أعلام مرفوعة على

(١٠٦) جعفر هادي حسن، صراع الحريديم والعلمانيين على المدن في «إسرائيل»، م.س.

أعمدة الكهرباء، وقد كان صراع العلمانيين في هذه المدينة قاسياً، ولكنهم خسروا المعركة. ومن هذه المدن ((قريات سوف)). ومن البلدات التي تشهد صراعاً حاداً اليوم بين المجموعتين مدينة ((يفنيل)) التي تقع جنوب غرب بحيرة طبرية، وكان رئيس بلديتها العلماني قد قال عند اشتداد الصراع إذا حاول الحريديم السيطرة على أمورنا فإن شيئاً خطيراً سيحدث وإن على الحكومة أن تحل الصراع الآن. ويدور صراع في ((قريات شالوم))، وحتى في القدس التي أخذ الحريديم يجتاحونها، والتي يعتقد أنها ستصبح مدينة حريدية خالصة في المستقبل القريب، فهي اليوم تنسم بالطابع الحريدي أكثر مما كانت عليه قبل خمس سنوات مضت، وهم يمنعون أي إعلان تجاري فيه صورة امرأة. وكان بعض العلمانيين قد هاجروا منها إلى بيت شمش هرباً من الحريديم. والآن يدور صراع في مناطق تعتبر جزءاً من القدس الكبرى مثل ((قريات يوبل)). ويقوم السيكريم في القدس بحملات لفرض إرادتهم، حتى أنهم أخذوا يمنعون أكل ((الآيس كريم)) أمام الناس^(١٠٧). ووفقاً للتوقعات التي يوردها الباحثون الإسرائيليون فإن المتدينين اليهود - وأساساً الحريديم - سوف يشكلون نسبة كبيرة بين السكان في ((إسرائيل)) في العام ٢٠٣٠، ما سيؤدي برأيهم إلى ثورة اقتصادية - اجتماعية - عسكرية - بيئية غير مسبوقه على الإطلاق. وهذا الأمر وحده من شأنه لدى تضافره مع تحولات أخرى أن يفضي إلى واحد من ثلاثة احتمالات أو سيناريوهات، يلخصها الباحثون على النحو التالي:

«أولاً، نظراً إلى أن القيادة الإسرائيلية، على الأقل في غضون العقود القريبه المقبلة، لن تكون مختلفة كثيراً عن تلك الموجودة الآن فإن كل المخاطر والتهديدات التي تحدثنا عنها ستبقى ماثلة وربما ستتعاظم. وبالتالي سيشهد المستقبل مزيداً من ضعف الديمقراطية في مقابل القوى الدينية المناوئة للديمقراطية، وتساعد عجز الكنيست عن تأدية مهماته، واستفحال الفوضى المتحوّلة إلى قاعدة معيارية. وفي غياب القدرة على الحكم ستتعاظم حركة

(١٠٧) م.ن.

الهجرة الداخلية في اتجاه منطقة تل أبيب لتفقد المناطق اليهودية البعيدة عن المركز (وسط البلد) وزنها الديمغرافي - الاقتصادي حتى الانهيار المزدوج، والذي يعني في قراءة الباحثين الإسرائيليين انهيار الأطراف البعيدة عن المركز من جهة وانهيار «دولة تل أبيب» من جهة أخرى.

ثانياً، الجمهور العلماني (اليهودي) سيبقى في «إسرائيل» حتى العام ٢٠٣٠، وهو بالتأكيد لن يرضى بواقع الحياة الدينية الراديكالية، وسيواصل صراعه ضد الراديكالية الدينية مختبراً خطوات شتى لتغيير الوضع. لكن مهمته لن تكون سهلة في ضوء النزعات الديمغرافية المحتدمة. وستكون إحدى الطرق التي سيتم اختبارها هي تغيير طريقة الانتخابات العامة، ورفع نسبة الحسم في انتخابات الكنيست. وهذه الخطوة ربما تزيد، في ظروف معينة، من قوة الأحزاب الكبيرة، ما سيؤدي إلى نشوء ائتلافات حكومية أكثر ثباتاً واستقراراً، وإلى تعزيز قدرة الحكومة على الحكم. وما يمكن توقعه هو أن تشكيل ائتلافات من دون القوى الدينية سيتيح لحكومة «إسرائيل» إمكان تغيير الوضع القائم، وإنجاز ثورة علمانية في جهاز التربية والتعليم، وسوق العمل، والخدمة العسكرية، وشبكة المواصلات وغيرها. ومع ذلك لا بد من تذكر أن النظام في «إسرائيل» يعترف بحقيقة أن المجتمع الإسرائيلي اليهودي هو مجتمع متعدد الشروخ والتصدعات، ولذا فإن رأي الأغلبية لن يفرض على الأقلية في حالات عديدة وعن سبق عمد. وعليه فثمة شك قوي في ما إذا كانت الخطوات الحادة، من قبيل تعزيز قوة رئيس الحكومة على نحو دراماتيكي، أو تغيير طريقة الحكم إلى نظام رئاسي، ستملك القدرة على حل مشكلات المجتمع المستعصية من دون تعميق الشروخ، ومن دون دفع قوى راديكالية إلى ممارسات أكثر تطرفاً. وعلى أي حال فمن شأن ائتلاف علماني تشارك فيه كل الأحزاب العلمانية فقط أن يتمكن، فعلياً، من تكوين أغلبية قادرة على اتخاذ القرارات في الاتجاه المطلوب. غير أن ائتلاًفاً كهذا يمكن تشكيله شريطة إنهاء الصراع الإسرائيلي - العربي، الأمر الذي يتيح إمكان تقديم القضايا الاجتماعية على القضايا الأمنية.

ثالثاً، على فرض استمرار حالة القدرة على الحكم في «إسرائيل» على ما هي عليه الآن (حالة التلاشي)، وعدم قيام ائتلاف علماني، فإن ما كان هو ما سيبقى، أي أن الصراع الإسرائيلي - العربي سيستمر، وبناء عليه سيبقى الأمن في رأس سلم الأولويات الوطنية. كذلك فإن المجتمع الحريدي سيزداد اتساعاً، ولن يكون من السهل دمج أبنائه في عالم التكنولوجيا والحدثة. في المقابل يرى البعض أن هذا الجمهور منضبط للغاية، وفي مقدوره النهوض بمشاريع قومية نسي العلمانيون، منذ زمن بعيد، كيفية إنجازها. لا بل إنه في موازاة التخاذل العلماني ربما يبدي المتدينون جميعاً إصراراً قومياً - مدنياً، وعسكرياً أيضاً، فيقدمون رداً على ما يحدث في الجانب الآخر من المتراس - الإسلام المتطرف - في السنوات الثلاثين الأولى من القرن الحالي. وبما أن كثيراً من العلمانيين سيهجرون البلد، في إطار هذا السيناريو، فإن الباقين سيضطرون إلى القبول بنمط حياة دينية وبأنظمة دينية. وهكذا فإن الاكتظاظ السكاني الشديد، والعنف المستفحل، وثقافة السكن التي تميز الحريديم، لن تشكل عوامل داعمة لجودة البيئة، وللمتنزهات الخضراء، ولمنهج التخطيط القومي المنظم. والجيش الإسرائيلي سيبقى على حاله، لكن مع مزيد من القبعات الدينية. فالطيaron سيكونون حريديم، وكذا المقاتلون في الوحدات الميدانية، وفي شتى المنشآت والمراكز الاستخباراتية»^(١٠٨). ويخلص هؤلاء إلى أن الاحتمال الأخير هو الأرجح لأن يتحقق من بين الاحتمالات الثلاثة. لكن من الجلي أنه إذا ما دفعت القيادة الدينية شعب «إسرائيل» في اتجاه الإقدام على ضم مناطق يهودا والسامرة (الضفة الغربية) وقطاع غزة فإن الأمور ستعود إلى الاحتمال الأول والأشدّ فظاعة.

(١٠٨) المركز الفلسطيني للدراسات، المشهد الإسرائيلي، مدار العدد ٢٧٠، السنة التاسعة، رام الله - فلسطين. الثلاثاء ٢٧-١٢-٢٠١١.

خلاصة

تشير معطيات دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية إلى أن عدد سكان إسرائيل بلغ مع نهاية العام ٢٠١١ حوالي ٧,٨٣٦ ملايين نسمة، من بينهم ٥٥٠٩ ملايين من اليهود الذين يشكلون ٧٥,٣٪ من التعداد العام، ومليون و٦١٠ آلاف من العرب الذين يشكلون ٢٠,٥٪، إضافة إلى ٣٢٥ ألف نسمة يعرفون كآخرين ويشكلون ٤,٢٥٪ من إجمالي السكان العام. وكما جرت عليه العادة في حسابات المصادر الرسمية الإسرائيلية يشمل العدد الإجمالي سكان القدس المحتلة من الفلسطينيين الذين يقدر عددهم ب ٢٩٠ ألف نسمة، وسكان هضبة الجولان السوريين. ويشكل اليهود الأشكناز (ذو الأصول الأوروبية والأميركية) أكبر مجموعة من بين المجموعات الإثنية الأخرى، حيث بلغ تعدادهم حوالي ٢,٢ مليون نسمة يشكلون ٣٦٪ من تعداد اليهود، وفي المقابل يصل تعداد اليهود من أصول شرقية (مواليد آسيا وأفريقيا) إلى ١,٥٩٥ مليون وهو ما يشكل ٢٦,١٠٪ من اليهود.

وحسب المعلومات المتوفرة عن اتجاهات السلطة بشأن المهاجرين يظهر نوع من تساوق التوسع في الهجرة مع سعي الوكالة اليهودية الدؤوب إلى غربلة غير المرغوب فيهم خلال الثمانينيات كماويين ومدمني المخدرات والمنحرفين جنسياً والذين هم في كنف الطرف اليهودي الخاطئ من جهة الأبوين. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى التمييز بين اليهود القادمين إلى «إسرائيل» فقد كانت السلطات الإسرائيلية تقدم بالفعل تسهيلات متباينة لليهود الوافدين من روسيا الأوروبية ولأولئك القادمين من جمهوريات آسيا الوسطى. فالفريق الأخير من اليهود يأتي أساساً من جورجيا وبخارى وهم حسب التعريف الشائع يهود شرقيون. أما اليهود السوفيات الناقصو الأهلية اليهودية وفق الشريعة اليهودية فيرسلون في العادة إلى المدن الجديدة المأهولة بيهود العراق وشمال إفريقيا إذا كانوا مولودين من أمهات غير يهوديات، فلكي يكتسبوا الحق في الجنسية والمواطنة لا بد لهم من الخضوع

لعملية اعتناق جديدة لليهودية وفق المذهب الأرثوذكسي، الذي يتضمن - في ما خص الذكور - عملية ختان مؤلمة وفق الطقوس السارية.

وأكثر من ذلك فإن واقع المؤسسة الحاكمة يدلّ على تمييز ضد يهود آخرين، حيث لا ينظر إلى اليهود الآخرين بنفس الرؤية والاهتمام، فيهود أثيوبيا المعروفون بالفلاشا قد يكونون أمام خطر الإبادة، ومع ذلك فإن الحكومة الإسرائيلية لا تقدّم لهم إلا التعاطف اللفظي. ولا يوجد أي تفسير لهذا الموقف سوى أن يهود أثيوبيا أقرب إلى جيرانهم السود إثنياً وثقافياً مما هم إلى أي قطاع في الجمهور الإسرائيلي^(١٠٩). وتفيد المعطيات المتوفرة حول نوعية المهاجرين من جورجيا مثلاً بأنهم من الشريحة المتخلفة بالنسبة ليهود المناطق الأخرى. ويواجه هؤلاء مشكلة في استيعابهم داخل المناطق المحتلة، حيث يستخدمون كعمال خدمات وفي الأعمال السوداء، وأيضاً كحمالين في المطارات والموانئ (اللد، أشدود...) ^(١١٠). كما كان لهذه المشكلة انعكاساتها على السياسة السكانية في «إسرائيل»، وقد ظهرت مؤشرات في وجود نمط معيّن في السكن، منها وجود الشرقيين في القرى الزراعية البعيدة عن المدن، والسكن المفضل للأشكناز. وقد كان لاستمرار هذه السياسة أثره على المهجرّين الجدد أيضاً، حيث اعتبر يهود الفلاشا مدينة بئر السبع مدينة العنصرية لعدم توفير الخدمات الضرورية فيها، يضاف إلى ذلك الفشل في عدم دمج اليهود الأثيوبيين في الحياة العامة حيث يلاحظ أن نسبة ٧٥٪ منهم لا تستطيع الكتابة باللغة العبرية و ٥٠٪ لا تستطيع التحدث بها، وهذا بحد ذاته يفسر نسبة البطالة المرتفعة جداً بينهم والتي تبلغ ٤٠٪، مما يؤكد وجود بون ثقافي بين الأثيوبيين والإسرائيليين، ويُعرف عن هؤلاء ترمّتهم وعدم انسجامهم في الحياة الاجتماعية والسياسة داخل «إسرائيل»، فهم

(١٠٩) إلفي باليس، سياسات الهجرة في «إسرائيل»، ترجمة محمد النصر عن الإنكليزية، مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت عدد ١٢٥، نيسان ١٩٨٢، ص ٥٨.

(١١٠) محمد قرش، الهجرة والسكان ودورهم في عملية النمو، مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، عدد ١١٠، نيسان ١٩٨٠ ص ١١٢.

مترددون في تعلمهم اللغة العبرية ويصرون على الإبقاء على لغتهم الأصلية في كافة معاملاتهم الداخلية^(١١١).

ومن أبرز وجوه التناقض في العلاقة بين منظومة القوى اليهودية، رغم الاستدراج الدائم للهجرة اليهودية، هو طبيعة التعامل مع المستوطنين حسب المناطق التي قدموا منها. ذلك أن التعامل مع الهجرات القادمة من الغرب مقارنة بتلك الهجرات من اليهود الشرقيين مختلف، فالمهاجرون الجدد - كما يرى الكثير من الإسرائيليين -، وبالأخص اليهود الشرقيون الذين يشكلون أكثر من نصف عدد يهود «إسرائيل»، قضى عدد كبير منهم أكثر من عقدين من الزمان في الأكواخ، في ما يعرف بمعسكرات العبور أو المخيمات الانتقالية، وهم يعانون من بؤس هائل - شاهدوا كيف أن المهاجرين توفر لهم بيوت حسنة في المدن الكبرى خلال بضعة أشهر من وصولهم، والفضل في هذا طبعاً هو لروابطهم العرقية مع البيروقراطية الأشكنازية (الأوروبية) الحاكمة في «إسرائيل».

وفي السياق ذاته «فقد بدأت أوساط اليهود الشرقيين بالتذمر حيال إعطاء المهاجرين السوفيات الأولوية الاقتصادية والعمل المباشر. وهذا قد ينذر بخلق توترات اجتماعية - سياسية جديدة بين السفارديم (اليهود الشرقيين) والأشكناز (اليهود الغربيين بمن فيهم اليهود السوفيات). ونظراً إلى أن اليهود الشرقيين طالما اعتبروا أن المؤسسة الأشكنازية تنظر إليهم كمواطنين من الدرجة الثانية فليس من الواضح إن كانت عملية تخصيص الأموال الضخمة لاستيعاب المهاجرين الأشكناز الجدد ستتم دون إثارة النزاعات الإثنية الحادة داخل «إسرائيل»^(١١٢).

وبوجه عام فإن اليهود الشرقيين يعرفون أنفسهم بشكل مختلف عن اليهود الأشكناز، وذلك على الرغم من أن الأبحاث تشير إلى تقلص فجوات

(١١١) خالد شعبان، اليهود المهجرون إلى «إسرائيل»، الموجة الأخيرة، م. س.

(١١٢) أحمد سامح الخالدي - حسين جعفر آغا، حول هجرة اليهود السوفيات، ص ١٧.

الهوية والتعريف الذاتي بين الطرفين لصالح الهوية الوطنية الجامعة، إلا أن الفجوة الطائفية بين الشرقيين والأشكناز لا تزال قائمة حتى في صفوف الجيل الثاني من الشرقيين والأشكناز وإن بدرجات أقل من الماضي.

يوضح الجدول أدناه العلاقة بين الأصل والهوية الدينية في المجتمع اليهودي (النسبة المئوية)^(١١٣)

الأشكناز	الشرقيون	
٦	٥	حريديم
١٠	١٣	متدينون
٢١	٤٧	محافظون
٦٣	٣٥	علمانيون
١٠٠	١٠٠	المجمل

وإذا استثنينا أستراليا فإن «إسرائيل» هي حالياً البلد الوحيد في العالم الذي يقوم على الهجرة كما بينا آنفاً، ولا يزال سبيل المهاجرين إليها يتدفق عليها سنوياً. وهكذا فإن حلم قادة الصهاينة الأوائل يبدو وكأنه يوشك أن يكتمل لولا حقيقة واحدة؛ وهي أن عدد الإسرائيليين الذين يغادرون الكيان سنوياً بات أكبر من عدد المهاجرين القادمين، ففي العام ١٩٨٠ هاجر إلى «إسرائيل» ١٨ ألفاً في حين نرح عنها نهائياً نحو ٢١ ألفاً^(١١٤). وإذا استمر الأمر على هذا النحو فإن الحلم الصهيوني سيبدأ بالتزعزع، ولذا فإن السلطات الإسرائيلية لا تعلن عادة عن عدد المهاجرين إلى الخارج بشكل نهائي.

وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة إلى أن معدلات الهجرة المعاكسة بدأت تأخذ منحى يقلق السياسة الإسرائيليين، فقد أشار استطلاع السلام

(١١٣) مهند مصطفى، تسييس الأحزاب الحريدية وصهينتها، مجلة قضايا إسرائيلية، عدد ٣٩-

٤٠، رام الله- فلسطين، ٢٠٠١، ص ١١٤.

(١١٤) جمال البابا، «مخاوف حقيقية أم أطماع سياسية؟»، مركز التخطيط الفلسطيني، مجلة

المركز، العدد الخامس عشر والسادس عشر - يناير / يونيو ٢٠٠٤.

لشهر أيلول ٢٠٠٢، الذي أجري بإشراف جامعة تل أبيب، إلى أن أبناء الشرائح الشابة أفادوا بأنهم يفكرون في الهجرة من البلاد بصورة عملية. ففي أوساط الشريحة العمرية ١٨-٢٩ سنة يفكر ٢٥٪ منهم بالهجرة. وفي استطلاع أخير أجري في تشرين الثاني ٢٠٠٤ تبين أن ٢٠٪ من سكان «إسرائيل» يرغبون في الهجرة إذا توفرت فرصة مناسبة لذلك. كما أن مفهوم الهجرة في الفكر اليهودي الصهيوني يختلف عن المفهوم الاعتيادي للكلمة، ولذلك فهي تلقى اهتماماً غير عادي من جميع مستويات صنع القرار في «إسرائيل». فالهجرة في المشروع الصهيوني المتمثل أساساً في إقامة الدولة اليهودية على أرض فلسطين هي حركة سياسية إيديولوجية تخدم هذا المشروع، وهي عماد حيويته واستمراره وقوته. ومن هنا استخدمت الحركة الصهيونية كل الوسائل المتاحة في سبيل تعزيز الهجرة واستقدام اليهود من كل أرجاء العالم. وبالتالي فإن ارتفاع معدلات الهجرة المعاكسة يقضّ مضاجع السياسة الإسرائيليين^(١١٥).

وأكثر من ذلك فإن معلومات مراكز الإحصاء في «إسرائيل» تفيد أن العام ٢٠٠٤ كان عام بداية الهجرة المعاكسة من «أرض إسرائيل» إلى الخارج. فلقد غادر في العام المذكور ما يزيد عن ١٦٥٠٠ إسرائيلي أغلبهم من العلماء والأطباء والمهندسين وذوي الاختصاصات العالية على اختلافها، ممن يبحثون عن فرص عمل أفضل وأجدى وأمكنة للعيش أهدأ وأكثر استقراراً في أوروبا والولايات المتحدة. وفي العام ٢٠٠٧ كان نزف الهجرة الإسرائيلية المعاكسة أشد وأخطر، خصوصاً حين طاول الأمر يهود روسيا وأوكرانيا وسائر جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق. فبحسب معلومات وزارة الداخلية الإسرائيلية تقدّم ٧٧٥ ألف إسرائيلي بطلبات للتنازل عن جنسياتهم الإسرائيلية والاستعداد الجدّي لمغادرة البلاد. والجدير بالذكر أن صحيفة «معاريف» نشرت في العام ٢٠٠٧ (عام الهجرة العكسية اليهودية

(١١٥) حول ظاهرة الهجرة العكسية من «إسرائيل»، أفق، مجلة إلكترونية تصدر عن مؤسسة الفكر العربي، العدد: ٥٠ التاريخ: ٢٠١١/٦/١٣.

من إسرائيل) استطلاعاً للرأي أظهر أن حوالي ١٤,٢٦٪ من الإسرائيليين لديهم الرغبة في الهجرة إلى الولايات المتحدة الأميركية، أو أي دولة أوروبية غنية^(١١٦). ولقد استمرت ظاهرة الهجرة المعاكسة من «إسرائيل» بوتيرة أسرع من سابقاتها وصولاً إلى العامين ٢٠١٠ و ٢٠١١ حيث بلغت مستويات غير مسبوقة، وخصوصاً بعد المتغيرات العاصفة التي حصلت في كل من تونس ومصر. وما ينبغي ملاحظته أن أغلب الهجرات اليهودية المعاكسة من «إسرائيل» كانت تتجه في نهاية مطافها إلى الولايات المتحدة. وتأتي بوصلة توجه المهاجرين الآخرين منهم بعد ذلك إلى ألمانيا وفيها الآن أكثر من ٢١٠ آلاف يهودي روسي، تليها أستراليا التي استقبلت ٧٥ ألف مهاجر إسرائيلي، ثم كندا التي استقبلت أكثر من ١٠٣ آلاف مهاجر، فيما استقر عشرات الألوف منهم في فرنسا والنمسا والدول الإسكندنافية وإيطاليا وأسبانيا إلخ. هذا طبعاً لا يلغي أن نسبة كبيرة من جماعات الهجرة العكسية من يهود «إسرائيل» كانت قد اتجهت إلى بلدانها الأصلية، وبخاصة الروس منهم، وذلك بعد ما تعافى بلدانهم اقتصادياً وسياسياً^(١١٧).

ولا يقتصر الأمر في الاستعداد للهجرة من «إسرائيل» على فئة من الفئات الطامحة لتحسين ظروفها بل يتعداها إلى بعض الجماعات التي تشعر بالتمييز ضدها بسبب اللون كيهود الفلاشا، فهناك كتلة كبيرة من يهود أثيوبيا عادت إلى بلدها بعدما عانت التهميش الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في «إسرائيل». فلقد عاد حوالي ٥٢٪ من يهود الفلاشا الأثيوبيين إلى ديارهم.. وتقول المعلومات إن المهاجرين من أثيوبيا إلى «إسرائيل» كانت أعدادهم قد تجاوزت العشرين ألف نسمة منذ أكثر من عشرين سنة، وإن كان من بينهم من هو ليس يهودياً ومنتحلاً بالتالي صفة اليهودية لتسهيل خروجه من بلده الفقير^(١١٨).

(١١٦) م.ن.

(١١٧) م.ن.

(١١٨) م.ن.

أما بالنسبة إلى الوجود الفلسطيني في «إسرائيل»، باستثناء الضفة الغربية وقطاع غزة، فتشير تقديرات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني إلى أن عدد السكان الفلسطينيين في فلسطين التاريخية بلغ في نهاية عام ٢٠١٠ حوالي ٥,٥ ملايين نسمة، في حين بلغ عدد اليهود ٥,٧ ملايين بناء على تقديرات دائرة الإحصاءات الإسرائيلية. وستساوى عدد السكان الفلسطينيين واليهود مع نهاية عام ٢٠١٤ حيث سيبلغ عدد كل من اليهود والفلسطينيين ما يقارب ٦,١ ملايين نسمة وذلك فيما لو بقيت معدلات النمو السائدة حالياً. وستصبح نسبة السكان اليهود حوالي ٤٨,٢٪ من السكان وذلك بحلول نهاية عام ٢٠٢٠ حيث سيصل عددهم إلى حوالي ٦,٧ ملايين يهودي مقابل ٧,٢ ملايين فلسطيني^(١١٩).

عدد الفلسطينيين في «إسرائيل» حسب الديانة نهاية عام ٢٠٠٩^(١٢٠)

الديانة	عدد السكان
المسلمون	١,٠٠٩,٣٠٠
العرب المسيحيون	١٠٩,٨٠٠
الدروز	١٠٤,٢٠٠
المجموع	١,٢٢٣,٣٠٠

كذلك تفيد المعطيات المتوفرة لعام ٢٠٠٦ حول ظروف سكن الفلسطينيين في «إسرائيل» أن نسبة الأسر الفلسطينية المالكة لسكنها بلغت ٨٤,٩٪ مقابل ٦٨,٩٪ للأسر الإسرائيلية، في حين بلغت نسبة الأسر

(١١٩) الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، الفلسطينيون في نهاية عام ٢٠١٠، رام الله - فلسطين ٢٠١٠، ص ٢٥. بيانات السكان الفلسطينيين تعتمد على تقديرات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، في حين أن تقديرات أعداد اليهود معتمدة على كتاب الإحصاء السنوي الإسرائيلي ٢٠١٠ عدد ٦١.

Source: The Galilee Society –The Arab National Society for Health (١٢٠) Research & Services (R.A)، 2009 through Rikaz Databank for the Palestinian Minority in Israel.

الفلسطينية المستأجرة ١٥,١ ٪ مقابل ٣١,١ ٪ للأسر الإسرائيلية^(١٢١).

على أية حال إن الادعاء المركزي لدى الصهاينة يستند إلى أن نموذج الديمقراطية العرقية يرر بنية الدولة القائمة فيها، حيث تكون الديمقراطية انتقائية وتفضيلية الاتجاه، وبمواجهة مختلف الفئات الاجتماعية في المجتمع الإسرائيلي. وتنبع أهمية هذا التقدير من قبول واسع النطاق للنموذج في الأوساط الإسرائيلية. هذا مع العلم أن التناقض بين الطابع الديمقراطي والهيمنة العرقية يتجلى بأشكال متنوعة في مختلف ميادين الحياة. فالدولة تنتمي إلى الغالبية، التي تستخدمها كأداة لتعزيز مصالحها (الوطنية) الخاصة. ونتيجة لذلك فإن الخلل المركزي للديمقراطية العرقية في مقارنتها مع نماذج مدنية هو غياب المساواة المدنية والسياسية. فحقوق الأقلية ليست فقط أدنى من تلك التي للغالبية، بل إن ضمانها يُعدّ مجاملة وليس حقاً. وفي هذا المعنى فإن الديمقراطية الإثنية هي نظام مختلط من عناصر الديمقراطية وغير الديمقراطية^(١٢٢).

ولا يغيب عن بال الذين يدركون طبيعة الكيان الصهيوني: أن التفرقة داخل المجتمع اليهودي موجودة بين مختلف المجموعات العرقية، التي لديها وجهات نظر ورؤيا مختلفة للعالم بل ومتناقضة، ولن يكون لها تأثير كبير على طبيعة النظام الإسرائيلي وخصوصاً في مجال الديمقراطية، ذلك أن الفوارق الاجتماعية الدينية والعلمانية، شرقية وغربية، للمهاجرين وقدامى المحاربين في المجتمع الإسرائيلي ليس لها تأثير أقل على طبيعة النظام الإسرائيلي والديمقراطية من الفجوة بين العرب واليهود^(١٢٣).

(١٢١) الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، الفلسطينيون في نهاية عام ٢٠١٠، م.س، ص ٥٧.

Amal Jamal, Beyond "Ethnic Democracy": State Structure, Multicultural Conflict and Differentiated Citizenship in Israel, New Tel Aviv University Political Science, Volume 24, Number 3, 2002, P: 412

.Idem Ibid. 414 (١٢٣)

وفي الختام، يبدو من الواضح أن المعضلة الرئيسية بالنسبة لليهود من مختلف الإثنيات، باستثناء تلك الفئة التي تعتبر وجود واستمرار الكيان الصهيوني بأشكاله المختلفة وبالأعلى، بغض النظر عن القوى الفاعلة والمسيطرّة في بنيانه؛ باستثناء هذه الفئة كاليهود السامريين أو الناطورني كارتا، أو القلة من المثقفين، فإن بقية الإثنيات المكوّنة للكيان الصهيوني بشرقية وغربية، وبيمينه وما سُمي بيساره، يتفقون وإن بوتائر مختلفة على الحفاظ على الكيان الصهيوني، وبالتالي فإن غالبيتهم لا تعارض سياسات الحكومات المتتالية الرامية إلى تعزيز الوجود اليهودي في فلسطين من جهة والاستيطان في الضفة الغربية من جهة ثانية، ومحاولة اقتلاع العرب من فلسطين من جهة ثالثة. كما أن الإثنيات المكوّنة للكيان الصهيوني بأغلبها تتفق على إنهاء كل ما يتعلق بحقوق الفلسطينيين في الأرض والوطن والهوية، أكانوا داخل الوطن الفلسطيني المحتل والمستباح من الصهاينة أم كانوا لاجئين.

اليهود الروس
في الكيان الصهيوني

اليهود الروس في الكيان الصهيوني

لعبت بعض المجموعات المبادرة للاستيطان في فلسطين دوراً بارزاً وحيوياً في إطار الترويج للمشروع الصهيوني وتأسيس الكيان الصهيوني. هذا مع العلم أن غالبية اليهود حول العالم كانت ضد هذا المشروع في بداياته في نهاية القرن الثامن عشر. ومن أبرز المجموعات الإثنية التي ساهمت في تأسيس الكيان الصهيوني تلك المجموعات الوافدة من روسيا ومن الاتحاد السوفياتي السابق. بيد أنه من اللافت أن هنالك العديد من الباحثين، ومنهم اليهود، يشيرون إلى أن أصول أكثرية اليهود القادمين من الاتحاد السوفياتي السابق بما فيه روسيا، تعود إلى ما سُمّي ببقايا مملكة الخزر؛ المملكة التي لم يكن مواطنوها من الأسباط اليهودية الإثنية عشر، التي تدعي الانتماء في أصولها إلى دولة «إسرائيل» التي أقيمت على أرض فلسطين. فالخزر قبائل أصولهم من تركيا اعتنقوا اليهودية في عهد هارون الرشيد، وكان تهوّدهم لأسباب سياسية إذ كانوا واقعين بين المملكتين البيزنطية والإسلامية. ويقال إنهم كانوا على علاقة وثيقة مع ملك المجر قبل عام ٨٩٦ وهاجروا إلى شرق أوروبا. «ويرى بعض المؤرخين ومن بينهم أ.ن. بوليك، أستاذ التاريخ الوسيط في جامعة تل أبيب، وكذلك بعض علماء الأجناس، أن يهود شرق أوروبا الأشكناز ليسوا من نسل يهود فلسطين وإنما هم من نسل الخزر الذين استوطنوا هنالك بعد تشرذمهم^(١٢٤)». وتشير مراجعة التاريخ الروسي إلى

(١٢٤) إحسان اديب مرتضى، الإثنيات، العرقيات والطوائف اليهودية في «إسرائيل»، ط ٢، باحث للدراسات، بيروت، ٢٠٠٧، ص: ٣٢٨.

أنه حتى عشرينيات القرن السابع عشر، لم يكن في الامبراطورية الروسية من اليهود إلا المسافرون والتجار المهاجرون، فالدولة الروسية كانت تمنع اليهود من الاستقرار داخلها انطلاقاً من العداء المسيحي التقليدي. وفي العقود الأولى من القرن الثامن عشر، عندما توسع حكم الامبراطورية الروسية غرباً، وبعد أكثر من قرن من النجاحات في ضمّها الأقاليم الشرقية التي لم يعيش فيها اليهود، يبدو أن اليهود تمكّنوا من الانتقال إلى مناطق في الامبراطورية الروسية، وليس ضمن الحدود الروسية الأصلية المعروفة. وبعدما غزا بطرس الأكبر المناطق التي تربط موسكو وبحر البلطيق، وخصوصاً بعد تواطؤ كاترين العظمى مع بروسيا والنمسا لتقسيم وضم الكومنولث البولندي الليتواني (١٧٧٢، ١٧٩٣، ١٧٩٥)، باتت الإمبراطورية الروسية تشمل أكبر نسبة من السكان اليهود في العالم. وبعد تقسيم أراضي الامبراطورية الروسية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وخاصة في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، استقر اليهود ذوو الامتيازات القانونية في سانت بطسبرغ وموسكو ومدن روسية أخرى، حيث انضمت إليهم أعداد أكبر من اليهود الذين يعيشون هناك بشكل غير قانوني. وقد ساهم تقسيم بولونيا عام ١٧٩٥ في خضوع أكثرية اليهود لحكم روسيا القيصرية، فروسيا في مرحلة ما بعد تقسيم بولونيا، أي في عام ١٧٩٥ «أصبحت الدولة الأولى في العالم بالنسبة لعدد السكان اليهود فيها... كان ذلك التقسيم قد تمّ بشكل ضمّت معه مناطق واسعة من بولونيا التي كان يقطن فيها اليهود بكثافة، إلى روسيا». (١٢٥) غير أن اليهود «لم يسمح لهم بالإقامة إلا في مدن محدودة في روسيا، منها موسكو وكييف وسانت بطسبرغ وأوديسا. وقد ضمّت الأخيرة أكبر تجمّع يهودي بعد وارسو. ولما كان اليهود يُمنعون من التوغل داخل روسيا فقد سُمح لهم بالإقامة - فقط - في المناطق المحاذية للحدود

(١٢٥) صبري جريس، تاريخ الحركة الصهيونية، الجزء الأول ١٨٦٢-١٩١٧، مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٨٧، ص ١٤.

الغربية. وكانت أغلبية اليهود في فقر شديد، أما أغنيائهم فقد توجهوا إلى صناعة السكر والنسيج، وإلى التجارة بالحبوب والأخشاب»^(١٢٦)

والحقيقة أن اليهود القادمين من روسيا للاستيطان في فلسطين لعبوا دوراً محورياً في مراحل الاستيطان الأولى حيث شكلوا مع القادمين من بولونيا، الدفعات الأولى من المجموعات التي توجهت إلى الاستيطان في فلسطين، لدرجة أن «اليهود من الإمبراطورية الروسية (من بولندا، وليتوانيا، وأوكرانيا، بشكل رئيسي) شكلوا العمود الفقري للشوف (المجتمع) اليهودي ما قبل الدولة في «إسرائيل» إيريتز، وأصبحوا لاحقاً الآباء المؤسسين للدولة. فاليعازر بن يهودا وهو شخص مؤيد متحمس للغة العبرية كلغة عامة واللغة الرسمية لدولة «إسرائيل»، ومعظم شخصيات الحركة الصهيونية والحياة السياسية الأولى (فلاديمير جابوتنسكي، شاول تشرنيهوفسكي، مناحيم يوسيشكين، ناحوم سو كولوف، يتشهوك كاتسينلسون، ديفيد بن غوريون، مناحيم بيغن) كانوا كلهم يهوداً ناطقين باللغة الروسية أو البولندية»^(١٢٧). أضف إلى ذلك أن «الجمعيات التي راحت تؤلب الرأي العام اليهودي للهجرة إلى فلسطين، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كانت جمعية «محبى صهيون»، التي أنشأها كَتَّاب وطلّاب جامعيون وعمّال يهود في روسيا في العام ١٨٦٧، وكذلك جمعية أخرى ناشطة في أوكرانيا كانت قد أرسلت أول فوج من مهاجري يهود أوروبا الشرقية إلى فلسطين في العام ١٨٨٢^(١٢٨) كما كانت «أول موجة يهودية منظمة لليهود الروس هي موجة الهجرة الأولى التي بدأت عام ١٨٨٢ واستمرت حتى عام ١٩٠٣،

(١٢٦) بيان الحوت، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة. التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين (١٩١٧)، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩١. ص ٢٣٨-٢٣٩

(١٢٧) لاريسا رينيك، اليهود الروس / السوفيات في إسرائيل، ٢٠٠٨/٨/٣٠، جميع الحقوق محفوظة للجمعية الأهلية لمناهضة الصهيونية، ٢٠٠٢ - ٢٠١٢.

(١٢٨) مراد، محمد، الدولة اليهودية: إشكاليات الهوية، الجغرافيا السياسية، الديموغرافيا

<http://www.alintiqad.com/essaydetails.php?eid=43160&cid=5>

ونشطت فيها جمعية صهيون... وكان هؤلاء يسمون بيهود «البيلو». قام يهود هذه الهجرة بأول أعمال الاستيطان في فلسطين حيث أسسوا سلسلة مستوطنات في مناطق مختلفة من فلسطين بدءاً بمستوطنة ريشون ليتسون (عام ١٨٨٢ جنوب شرق تل أبيب)... وانتهاءً بهديرا وبيرتوفا (بين أسدود وعسقلان عام ١٩٠٣)^(١٢٩). وحسب المعلومات المتوفرة فإنه «إثر اندلاع الحرب الروسية-اليابانية سنة ١٩٠٤،... أدت المجاعة التي سبقت الحرب، والأحوال التي رافقتها، إلى موجة ثانية من العنف والقتل ضد اليهود، وإلى هجرة جماعية كبرى ثانية.^(١٣٠). إضافة إلى ذلك فإن «موجة الهجرة الثانية التي امتدت من عام ١٩٠٤ حتى عام ١٩١٤ قد ضمت عدداً من قادة الحركة العمالية الصهيونية كان من بينهم: أهرون دافيد وردن، جوزيف وتكين، يتسحاق بن زيفي (ثاني رئيس للكيان الصهيوني) بيرل كاتسملن (أحد قادة ومؤسسي الهستدروت وحزب ماباي)... ويتسحاق تابنكين (من مؤسسي الهستدروت وحزب ماباي). وقد قام أفراد هذه الموجة من اليهود الروس ببناء المستوطنات الزراعية وأولها في بحيرة طبريا عام ١٩١٠... كما أسهموا في بناء تل أبيب (١٩٠٩) كأول مدينة استيطانية يهودية في فلسطين (وكان مؤسسها وأول رئيس بلدية لها هو الروسي مئير ديزنغوف)^(١٣١). وتذكر موسوعة الصهيونية و«إسرائيل» أنه كان في فلسطين عشية الحرب العالمية الأولى حوالي ٥٠ ألف يهودي من أصل روسي يشكلون ثلثي عدد اليهود الموجودين في فلسطين في ذلك الحين والذي قدر بـ ٨٥ ألفاً.^(١٣٢) وخلال «موجة الهجرة الثالثة» (١٩١٩-١٩٢٤) وصل إلى فلسطين ١٥٨٠٠ مهاجر من اليهود الروس، الذين

(١٢٩) إحسان أديب مرتضى، الإثنيات، العرقيات والطوائف اليهودية في «إسرائيل»، ص ١٦.

(١٣٠) بيان الحوت، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة. التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين (١٩١٧). ص ٢٣٩.

(١٣١) إحسان أديب مرتضى، الإثنيات، العرقيات والطوائف اليهودية في «إسرائيل»، ص ١٦٧.

(١٣٢) م.ن، ص ١٦٧-١٦٨.

جاؤوا هرباً من التغييرات السياسية والاجتماعية التي أعقبت ثورة أكتوبر الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي... كذلك هرب من الاتحاد السوفياتي ١٥٥٠٠ يهودي آخر بطرق عديدة في فترة الهجرة الرابعة التي بدأت مع الانتداب البريطاني أي من سنة ١٩٢٤ حتى سنة ١٩٣١ وهي من أخطر المراحل، وتعتبر مقدمة لقيام دويلة «إسرائيل». أما في فترة الهجرة الخامسة (١٩٣٢-١٩٣٩) والسنوات التي تلتها حتى قيام الكيان الصهيوني، فلم يصل إلى فلسطين سوى ٧ آلاف مهاجر من الاتحاد السوفياتي. ويعود الضعف النسبي لتيار الهجرة من الاتحاد السوفياتي إلى فلسطين في تلك السنوات إلى قوانين المنع السوفياتية لمحاربة النشاطات الصهيونية داخل الاتحاد السوفياتي^(١٣٣) وفي المرحلة ما بين ١٩٤٨ حتى ١٩٦٩... «أدى إعلان قيام «إسرائيل»، وتأييد الاتحاد السوفياتي لها، إلى تطلع اليهود نحو إسرائيل، وتصاعد رغبتهم في الهجرة إليها، غير أن الاتحاد السوفياتي حدد موقفه خلال هذه الفترة بتأييد هجرة اليهود بشكل عام إلى «إسرائيل»، ورفض هجرة يهود الاتحاد السوفياتي. وقد قدرت وزارة الداخلية السوفياتية عدد اليهود الذين هاجروا من الاتحاد السوفياتي إلى «إسرائيل» خلال هذه الفترة بعشرة آلاف مهاجر بمعدل سنوي هو خمسمائة مهاجر وذلك في الحدود التي سمح بها مبدأ جمع شمل العائلات الذي حكم هجرة اليهود السوفيات خلال هذه الفترة»^(١٣٤).

وهكذا فقد اتسمت الهجرة من الاتحاد السوفياتي للاستيطان في فلسطين «بتراجع لافت طوال المرحلة الممتدة من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٢ حين بدأت بالارتفاع إلى أن وصلت الذروة في العام ١٩٩٠، حين بدأت موجة الهجرة الكبرى للمهاجرين اليهود من دول الاتحاد السوفياتي السابق، حيث وصل في غضون عقد من الزمن (١٩٩٠-٢٠٠٠) ما يقارب المليون مهاجر جديد يهودي من دول الاتحاد السوفياتي السابق، والتي أوجدت

(١٣٣) م.ن، ص ١٦٨.

(١٣٤) عبدالعليم محمد، التسوية وحركة الهجرة اليهودية إلى «إسرائيل» أكتوبر ١٩٧٩، المصدر: السياسة الدولية، جميع حقوق النشر محفوظة لدى مؤسسة الأهرام، ٢٠١٠.

«طائفة» جديدة في المجتمع الإسرائيلي. حيث يشكل الروس (١٨ - ١٩٪) من مجمل المواطنين في «إسرائيل». (١٣٥)

وقد بدأت أعداد المهاجرين من دول الاتحاد السوفياتي السابق بالانخفاض مع تحسن الوضع الاقتصادي في روسيا وبقيّة دول الاتحاد، حيث شهدت السنوات ما بين ٢٠٠٠ و ٢٠١٠ انخفاضاً لافتاً، إذ انخفض عدد القادمين من دول الاتحاد السوفياتي السابق من ٥٠٨١٧ عام ٢٠٠٠ إلى ٧١٥٨ عام ٢٠١٠ (١٣٦). وعلى أية حال فإن المعلومات المتوفرة تشير إلى أن اليهود الروس يشكلون في «إسرائيل» المجموعة الإثنية الثانية بعد مجموعة اليهود البولونيين من حيث المكانة في الكيان الصهيوني، والثالثة بعد مجموعتي اليهود المغاربة واليهود البولونيين من حيث العدد أو الحجم. ولا يقصد باليهود هنا اليهود من أصل روسي فقط بل كل اليهود الذين قدموا إلى فلسطين من الجمهوريات والأقاليم الواقعة ضمن حدود الاتحاد السوفياتي، والقسم الأوروبي منه تحديداً... كالتوانيين والجورجيين والأوكرانيين، وإن كان اليهود من أصل روسي هم الغالبية بين هؤلاء. «ولقد لعب يهود بولونيا دوراً مهماً في تاريخ اليهود في العصر الحديث: فمن بينهم خرج اليهود الذين استوطنوا روسيا فيما بعد وبينهم أيضاً نشأت الصهيونية وترعرعت، وكان أبناؤهم هم الذين تزعموها. ومن بين أولئك اليهود انطلقت كذلك أكثرية المستوطنين الصهيونيين الذي قدموا إلى فلسطين خلال الحكم العثماني للبلد» (١٣٧). وحتى تكتمل الصورة حول الوافدين للاستيطان إلى «إسرائيل»، حسب مركز الإحصاء الإسرائيلي، يظهر الجدول المرفق نسبة المستوطنين من الاتحاد السوفياتي السابق مقارنة مع غيرهم من المستوطنين طوال الفترة الممتدة من عام ١٩٤٨ حتى عام

(١٣٥) مواسي، حسن، اليهود الروس في «إسرائيل»... نظرة دولية واتهامات بنشر الجريمة، إيلاف أول جريدة إلكترونية عربية، GMT ١٦:٠٠:٠٠ ٢٠١١ الخميس ٦ يناير // <http://www.elaph.com/Web/news/2011/1/623244.html>

(١٣٦) أنظر الجدول المرفق الصادر عن مركز الإحصاء الإسرائيلي.

(١٣٧) صبري جريس، م.س، ص ١٦.

٢٠١٠. والحقيقة أنه رغم إطلاق تسمية اليهود الروس على الموجة الكبيرة من المهاجرين المستوطنين التي بدأت في نهاية الثمانينيات» فإنها في الحقيقة تكونت من مجموعات ثقافية وإثنية مختلفة جاءت من مختلف جمهوريات الاتحاد السوفياتي. فقد شملت هذه الهجرة ٨٠ بالمئة من اليهود الأشكناز، و ٢٠ بالمئة من اليهود السفارديم مثل يهود بخارى، غير أن الأغلبية النسبية من المهاجرين أتت من روسيا وأوكرانيا^(١٣٨).

ولما كانت الهجرة إلى الكيان الصهيوني من الاتحاد السوفياتي السابق بما فيه روسيا قد أثرت في بنية الكيان الصهيوني بشكل لافت، كما أثرت في المستوطنين المقيمين سابقاً والوافدين على مختلف الصعد الثقافية السياسية والاقتصادية والعسكرية، فإننا سنتناول أبرز التأثيرات التي أحدثتها المهاجرون من الاتحاد السوفياتي السابق، وبالأخص اليهود الروس، في الكيان الصهيوني؛ وذلك بعد الحديث عن طبيعة الاندماج الاجتماعي لهذه الفئة في المجتمع الإسرائيلي.

الاندماج الاجتماعي لليهود الروس في المجتمع الإسرائيلي

يرتبط أبرز تداعيات الهجرة من الاتحاد السوفياتي والاستيطان في الكيان الصهيوني بكيفية القدرة على الاندماج في مجتمع جديد له خصوصية تتميز بالسعي لبلورة هوية على أساس ديني يهودي. وعلى صعيد هجرة اليهود الروس للاستيطان في فلسطين «فبعد موجة الهجرة الكبرى أخذت تطفو على السطح مشاكل كثيرة تكمن في استيعابهم ودمجهم في المجتمع الإسرائيلي، و بروز المنافسة على تحصيل الحقوق على حساب مجموعات إثنية أخرى، تحولت النظرة إلى المهاجرين الجدد سلباً حتى وصلت في الكثير من الأحيان إلى توجيه دعوات لوقف الهجرة من روسيا ودول الاتحاد السوفياتي السابق. وهذا الأمر يتضح من خلال نظرة المجتمع الإسرائيلي إلى

(١٣٨) عبد القادر عبد العالي، التصدعات الاجتماعية وتأثيرها في النظام الحزبي الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٠، ص ١٤٦.

القادمين الجدد، إذ يتبين أن معظم المهاجرين «عادوا» إلى «إسرائيل» ليس من منطلق قناعتهم بالفكر القومي بل من أجل الهروب من الواقع الاقتصادي الصعب والسيئ في الدول التي قدموا منها^(١٣٩). وهذا ما أدى إلى تكوين فكرة غير مرحّبة عند الكثير من الإسرائيليين. بمن فيهم العاملون في الهيئات الرسمية التي من المفترض أن تقوم بتوجيه المواطنين ووضع ثقافة المساواة قيد التدريس. وبدلاً من ذلك أصدرت وزارة التعليم الإسرائيلية كتاباً تعليمياً جديداً عن «المواطنة أثار غضب وسخط أكثر من مليون إسرائيلي من الإتحاد السوفياتي حيث وصفهم الكتاب بالجشع والأنانية وأنهم لا يمثلون الصهيونية: إذا كان طفلك يدرس في المرحلة المتوسطة بالمدارس الإسرائيلية فإنه من المرجح أن يكون مفهومه عن مهاجري الإتحاد السوفياتي السابقين يتعلق بتلك العبارات «هاجروا لأسباب إقتصادية» «ومعظمهم يؤمن بالمسيح ومعظمهم ملحدون». وهذا ما تسبب في ارتفاع موجات الغضب والسخط في المجتمع الروسي في ضوء إدعائهم بأن كتاب المواطنة الجديد الذي أصدرته وزارة التعليم الإسرائيلية يحرض ضدهم ويعرض سلسلة من الوقائع الكاذبة فيما يتعلق بهجرتهم لـ«إسرائيل»... وعلي سبيل المثال يتناول الكتاب دوافع هجرة اليهود من الإتحاد السوفياتي مشيراً إلى أن الصهيونية لم تلعب دوراً في هجرتهم، وأن الدوافع المادية هي التي حركتهم. كما يصفهم الكتاب بالجشعين والأنانيين ولا يمثلون الصهيونية...»^(١٤٠).

كما أنه من المعروف «أن الخلافات بين الأطياف اليهودية المتنوعة إثنيًا ما زالت من العلامات البارزة التي تصبغ العلاقات بين مختلف أطياف وإثنيات هذا الكيان. ومن الأشكال البارزة لهذا الخلاف وجود الصراع الديني/ العلماني، وخاصة بين المتدينين واليهود الروس، حيث يهاجم المتدينون طابع الهجرة الروسي، ويتهمون المهاجرين الروس بأنهم غير يهود، ويصفونهم

(١٣٩) مواسي، حسن، اليهود الروس في «إسرائيل»... نظرة دولية واتهامات بنشر الجريمة
س.م

(١٤٠) ما هو الكتاب الذي أغضب اليهود الروس ولماذا؟ جريدة الديار، بيروت،

بصفات غير أخلاقية... وفي حين أكد إيهود باراك على ضرورة اندماج المهجرين، أكدت شاس على موقفها بوجوب محاربة المظاهر غير اليهودية التي أحضرها المهجرون الروس معهم.^(١٤١) وذهبت بعض الاستطلاعات الإسرائيلية التي جرت وسط المهجرين الروس في الثمانينيات إلى القول إن ظاهرة عدم الاندماج واضحة، فقد أظهرت دراسة أجراها د. يوحنا بيرس من قسم الاجتماع في جامعة تل أبيب أن :

٨٪ من المهجرين الروس يعتبرون أنفسهم إسرائيليين.

٤٧٪ من المهجرين الروس يعتبرون أنفسهم روساً.

٤٥٪ من المهجرين الروس يعتبرون أنفسهم يهوداً.

وهو ما اعتبر مؤثراً على فشل الدمج. كما بين الاستطلاع أن الفشل في الهوية كنموذج للتوحد والتماثل تهمة توجه إلى المجتمع الإسرائيلي، وبالتالي فإن المجتمع مقسّم إلى طوائف وثقافات متعددة، والملاحظ كذلك-وهو الأهم- أن ثقافة المهجر هي ثقافة البلد الأصلي، فهناك ثقافة روسية ورومانية ومغربية، وإن كان المهجر قد هُجر قبل عشرين أو أربعين عاماً.. كما أن هناك تماثلاً بين بعض الثقافات مثل المتدينين والشرقيين والعلمانيين والأشكناز.^(١٤٢) وفي ما يتعلق بمستوى الاندماج في المجتمع الصهيوني يمكن القول إن موجة الهجرة الجديدة «خلال التسعينيات أُلقت بظلال ثقيلة على قضية الاندماج والانتماء داخل المجتمع الإسرائيلي. فباستثناء الاستقرار المادي الذي وجدته هؤلاء المهاجرون في «إسرائيل» فثمة معضلات عديدة تواجههم وعلى رأسها:

١- مشكلة الاندماج الثقافي، فاليهود السوفيات «أقل سرعة من غيرهم في تعلم اللغة العبرية، وهو ما يجعل قطاعات كبيرة منهم غير قادرة على

(١٤١) هادي حسن جعفر، صراع الحريديم والعلمانيين على المدن في «إسرائيل»، الحوار المتمدن - العدد: ٣٦٠٩ - ٢٠١٢ / ١ / ١٦.

(١٤٢) خالد شعبان، اليهود المهجرون إلى «إسرائيل» - الموجة الأخيرة، مجلة مركز التخطيط الفلسطيني، رام الله - فلسطين، العدد الثالث والرابع يوليو / ديسمبر ٢٠٠١.

الاستمتاع الثقافي. ولمواطني دولة عظمى كالاتحاد السوفياتي تباغت بأنها الأكثر دعمًا للثقافة، ونال الكثيرون من أبنائها أرفع الأوسمة الدولية في الآداب والفنون والعلوم، يجد كثير من اليهود السوفيات صعوبة بالغة في التواصل الثقافي مع الدولة الناطقة بالعبرية». (١٤٣) وفوق ذلك فإنه «على الرغم من صدور بعض الصحف بالروسية - وكذلك ترجمة النشرات الإخبارية إلى اللغة الروسية - فإن المتقنين للعبرية فقط هم القادرون على التواصل الثقافي مع المجتمع. ويضطر أغلبهم إلى العيش في «جيتوات» ثقافية روسية، ناهيك عن مشكلات الزواج واختلاف طقوسه وتنظيماته في مجتمع الهجرة. ولعلَّ الاستثناء البارز في هذا المجال هو المشاركة الثقافية للموسيقيين وفناني الباليه والإخراج المسرحي التي ارتقت بشكل ملموس في «إسرائيل» بفضل جهودهم...

٢- الشعور بالتمييز والاستهداف من قبل وسائل الإعلام التي يقدم بعضها عناوين ساخنة لنشاط رجال المافيا الروس، وامتهان المراهقات الروسيات البغاء، أو نشر صور لمشردين مدمنين على الكحول من الروس، وكلها أمور تثير حفيظة المهاجرين، ويتعامل معهم المجتمع الإسرائيلي بنظرة فوقية باعتبارهم «روساً» لا «يهوداً». أضف إلى ما سبق ارتفاع نسبة البطالة بينهم أو العمل في مجالات غير متفقة وتخصصاتهم المهنية التي لا يستوعبها المجتمع الإسرائيلي (١٤٤).

وفي ما يتعلق بالفترة التي تلت الموجة الكبرى من قدوم المستوطنين اليهود الروس والتي بدأت في نهاية الثمانينيات تقول الصحافية الروسية كسينا سبتلوبه إن «عدد المهاجرين الجدد في «إسرائيل» يتعدى الـ ١,٢ مليون مهاجر من دول الاتحاد السوفياتي السابق وقد نجح أكثر من نصف المهاجرين الجدد

(١٤٣) عاطف عبد الحميد، المستوطنون السوفيات سابقاً والحرب في فلسطين، القاهرة، موقع إسلام أون لاين، ١١ مارس ٢٠٠٧.
(١٤٤) م. ن.

بالاندماج في المجتمع الإسرائيلي، وهم يحافظون على ثقافتهم الروسية ولكن مع مواصلة مساعيهم للاندماج في المجتمع الإسرائيلي». وتضيف: «الوضع اليوم مختلف عما كان إبان الهجرة الكبرى التي كانت في ١٩٨٩-٢٠٠٠، وقد تغيرت النظرة الإسرائيلية نحو المهاجرين، وأضحى المهاجرون لا يأخذون على محمل الجد ما يتم توجيهه إليهم، ويعملون على تغيير النظرة كونهم يريدون الاندماج في المجتمع الإسرائيلي. واليوم ونتيجة للاندماج في المجتمع الإسرائيلي نرى أن هناك مشاركة كبيرة من قبل المهاجرين الجدد من روسيا ورابطة الشعوب المستقلة في الحياة السياسية والثقافية والتربوية الإسرائيلية، وعملية الاندماج تسير بخطى جيدة»^(١٤٥).

وهناك أيضاً قضية حساسة يعانها المهاجرون الجدد وهي «قضية تعريف من هو اليهودي وفق الشريعة اليهودية «الهالاخاه»، إذ إن الحديث يدور عن حوالي ٣٣ بالمائة من المهاجرين الجدد وأنهم ليسوا يهوداً وفق الشريعة اليهودية، ما يتسبب بمشكلة لهم في قضية الزواج وقضية الدفن. وهناك جدل داخل الأوساط السياسية حول الموضوع فثمة جهات تدعو إلى تخفيف الشروط المطلوبة التي تضعها الحاخامية الرئيسة وهناك من يدعو إلى التشديد، ولكن ثمة إمكانية في «إسرائيل» لأن تعيش فيها وأن لا تكون يهودياً»^(١٤٦). بيد أن التقسيم الديني من جهة والعلاقة الوثيقة مع الوطن الأم روسيا من جهة ثانية ما زال من المسائل التي تؤثر في الاندماج. ولهذا تشير سبتلובה «إلى أن المشكلة الأساسية كانت لدى المهاجرين الجدد، كما في كل المجتمعات، هي قضية الاندماج في المجتمع الإسرائيلي، إذ إن غالبية المهاجرين جاؤوا إلى البلاد بناءً على دعوة من الدولة، وهناك شعور بأنه تم إهمالهم في البداية. والقضية الأساسية اليوم التي تشكل مشكلة بالنسبة

(١٤٥) موسي، حسن، اليهود الروس في «إسرائيل»... نظرة دولية واتهامات بنشر الجريمة، م.س.

(١٤٦) م.ن.

إلى المهاجرين قضية اعتناق اليهودية، إذ إن غالبية اليهود المهاجرين يعرفون وفق الأب وليس حسب الشريعة اليهودية («الهالاخاه») وقانون الهجرة الإسرائيلي للعام ١٩٥١ يعرف اليهود حسب الأم». وتقول سبتلובה إن غالبية المهاجرين الجدد «يعرفون أنفسهم كإسرائيليين، وثقافتهم هي إسرائيلية، مع العلم أن هناك مجموعة لا تزال تحافظ على ثقافتها الروسية. واليوم يوجد وسائل إعلام خاصة بالروس وتتحدث باللغة الروسية».^(١٤٧) وتضيف الصحافية («أن غالبية الأبحاث تشير إلى أن القادمين الجدد يسعون إلى الاندماج في المجتمع الإسرائيلي، وخصوصاً الشباب منهم، إذ إن غالبية الشباب ينتمون إلى المجتمع الإسرائيلي ولكن، كما في كل المجتمعات الأخرى، هناك أقلية من المهاجرين الجدد الروس ورابطة الدول المستقلة لا يتحدثون العبرية كلياً أو جزئياً، وخصوصاً كبار السن منهم، كلغة للتفاهم. وهناك مجموعة لا تتعدى نسبتهم ١٠ بالمائة يحافظون على خصوصيتهم كروس، ويقومون بنشاطات وفعاليات اجتماعية وتربوية وثقافية بالروسية. وقد بلوروا ثقافة روسية. ويوجد ما يقارب ٥٠ إصداراً روسياً، منها وجريدة الأخبار الأكثر انتشاراً، جريدة «بلدن»، و«أخبار الأسبوع» وغيرها»^(١٤٨). وفي كل الأحوال فإن المهاجرين الروس الجدد يواجهون صعوبة في الاندماج الكامل في المجتمع الإسرائيلي، و«بحسب الإحصاءات الإسرائيلية فإن أكثر من ٨٢٪ من اليهود الروس الذين هاجروا إلى «إسرائيل» يرون أن هناك تمييزاً ضدهم باعتبار أنهم يهود من الدرجة الثانية لم يندمجوا في المجتمع الإسرائيلي. كما أن ٣١٪ من أطفال الروس اليهود في «إسرائيل» يتعرضون في المدارس لاعتداءات عنصرية. وأسفر ذلك عن عودة ١٠٪ منهم إلى مساقط رؤوسهم أو إلى مناطق أخرى. وتشكل نسبة المهاجرين الروس ٢٠٪ من نسبة اليهود في «إسرائيل» وحوالي ١٣٪ من نسبة سكان «إسرائيل» بصورة إجمالية».^(١٤٩)

(١٤٧) م.ن.

(١٤٨) م.ن.

(١٤٩) ناصر اللحام، لا تسخروا من ليرمان.. فهو رئيس الحكومة الإسرائيلية القادم، جميع

فاعلية اليهود الروس في الكيان الصهيوني

بدأت أميركا منذ عام ١٩٧٥. بممارسة الضغط على الاتحاد السوفياتي كي يسمح لليهود السوفيات بالهجرة («واستصدرت تشريعاً من الكونغرس يربط تطور العلاقات التجارية المشتركة بمدى فتح الأبواب السوفياتية أمام هجرة اليهود السوفيات إلى الخارج. ومن هذا الباب فقط حصلت «إسرائيل» إجبارياً على مليون يهودي مهاجر في السنوات العشر التالية لتفكك الاتحاد السوفياتي وغالبيتهم جامعيون ومهنيون وبعضهم علماء، وهكذا أصبحت الإضافة إلى «إسرائيل» مزدوجة: بشرية وعلمية وفوق هذا وذاك مجانية. والمستوطنون من الاتحاد السوفياتي السابق يُعتبرون من النخب اليهودية التي ضمت آلاف الأطباء والمهندسين والأدباء والموسيقيين وغيرهم من الكفاءات، وكان دافع المهاجرين الهروب من الوضع الاقتصادي المنهار^(١٥٠).

ورغم الإشكاليات التي واجهت اليهود الروس في «إسرائيل» على صعيد الاندماج ومحاولة العيش في ظروف قاسية بالنسبة لغلاء المعيشة وغير ذلك، فإن الكثير من المحللين يرون أن هجرة اليهود الروس شكّلت إنقذاً لـ«إسرائيل» على أكثر من مستوى. فقد «أصبح اليهود المهاجرون من روسيا في واقع الأمر الجوهر التكويني للمجتمع اليهودي الحديث في أرض «إسرائيل»/ فلسطين. بحيث أصبح من الصعب اليوم العثور على أي مجال في «إسرائيل» لا يضطلع اليهود الروس من مختلف الأجيال وأحفادهم فيه بدور هام، إن لم يكن حاسماً. وإن دور أحدث موجة من الاتحاد السوفياتي السابق إلى «إسرائيل» بارز بشكل خاص. فبعد انهيار الاتحاد السوفياتي وما تلاه من الهجرة الجماعية اليهودية من الاتحاد والدول التي خلفته تحوّلت «إسرائيل» إلى أكبر مركز لليهود الناطقين بالروسية في العالم. و«إسرائيل»

الحقوق محفوظة لـ تلفزيون الفجر الجديد © ٢٠١٢، ٢٨/٠٨/٢٠١٢.
(١٥٠) نزار رشيد إبراهيم، الدور النبوي للعاملة الفلسطينية في الاقتصاد الإسرائيلي، (دراسة تحليلية)، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق ١٩٩٨، ص ٨٠.

اليوم هي موطن لحوالي ٤٠ في المئة من يهود الاتحاد السوفياتي السابق، الذين يشكلون أكثر من ١٥ في المئة من سكان «إسرائيل» بشكل عام و١٧ في المئة من سكان البلاد اليهود. كما أن المهاجرين من الاتحاد السوفياتي السابق هم ثاني أكبر مجموعة بعد الإسرائيليين من السكان اليهود الأصليين.^(١٥١) ما يشير إلى أن النظرة السلبية حيال المهاجرين الجدد تراجعت عما كانت عليه في بداية الهجرة، واليوم أصبحت النظرة إلى المهاجرين الجدد الروس ودول الاتحاد السوفياتي السابق أفضل نوعاً ما حسب رأي الخبراء في هذا المجال. وهذا يدفعنا إلى محاولة تبيان تأثير اليهود الروس على المستويات الديموغرافية، والسياسية، والاقتصادية والعسكرية.

الفاعلية على المستوى الديمغرافي والثقافي

إن «هجرة مئات الآلاف من الناس من ذوي الخلفيات الثقافية المختلفة شكلت عامل تحد للمجتمع الإسرائيلي، ما يزيد من تعقيد الخلافات الاجتماعية والتنوع السياسي، ولا يقل أهمية عن المساهمة في المناقشات الأيديولوجية المتوترة الجارية حول مستقبل «إسرائيل» كدولة يهودية. وفي ما يتصل بالمسائل الديموغرافية فالهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي السابق خلال السنوات العشرين الماضية حققت مساهمة في ميزان الأمن القومي الإسرائيلي على الأقل في ثلاثة مجالات رئيسية هي: ضمان غالبية يهودية دائمة، وتوسيع دائرة مجموعة العمالة الوطنية الماهرة، إضفاء طابع التوازن في محيط وسط البلاد^(١٥٢). وقد أعلن المحاضر في جامعة بار أيلان والعالم الرئيسي في وزارة الاستيعاب والهجرة الإسرائيلية د. زئيف حنين في تصريح لـ«إيلاف»: «منذ الهجرة الكبرى (١٩٨٩-٢٠٠٠) وصل مليون

Khanin' Vladimir (Ze'ev): Aliyah from the Former Soviet Union: (١٥١) Contribution to the National Security Conference, Chief Scientist, Israeli Ministry of Immigrant Absorption, and Position paper, presented on the behalf of the Israeli Ministry of Immigrant Absorptions to the 10th Annual Herzliya Conference, Balance of Israeli National Security, Jerusalem, February 2010, p: 7

.Idem. Ibid (١٥٢)

و ٢٠٠ ألف مهاجر جديد من دول الاتحاد السوفياتي السابق إلى «إسرائيل»، واليوم يوجد نحو ٨٩٠ ألف يهودي من دول الاتحاد السوفياتي السابق في «إسرائيل»، فيما ترك حوالي ٥ بالمائة منهم «إسرائيل». واليوم تصل نسبتهم إلى ١٩ في المائة من الإسرائيليين». ويضيف حنين: «انخرط نحو ٥٠ بالمائة منهم في حياة الدولة وفي واقع الأمر أصبحوا عنصراً مركزياً ومهماً في كل مجالات الحياة الإسرائيلية في الاقتصاد، وفي الأمن، وفي الأكاديمية، وفي الطب، وفي الثقافة وغيرها». ويبيّن حنين أن المهاجرين الجدد موزعون في أنحاء «إسرائيل»، وتحديدًا في المدن المتوسطة كالكارايوت (شمال حيفا) وأشكلون وبتسيرت عيليت وغيرها، مشيراً إلى أن مدينتي حيفا وأشدود استوعبتا عدداً كبيراً من المهاجرين، وأن هناك مدناً يشكل الروس فيها ٢٥ بالمائة كمدينتي إيلات وأشدود (٢٠ بالمائة)، ومدينة حيفا (٢٠ بالمائة)، وبتسيرت السبع (١٥ بالمائة)، وتل أبيب (١٨ بالمائة)، وبت يام (١٥ بالمائة) بينما لا يتعدى عددهم في القدس (٣ بالمائة)^(١٥٣). وفي ما يتعلق بديمومة التماسك بين الجماعات اليهودية القادمة من الاتحاد السوفياتي السابق فإنها ترجع لعدة أسباب صُنفت في ثلاث مجموعات أولها، «الأسباب الثقافية والإثنية: يتمسك المهاجرون الروس بالثقافة الروسية، وقد انعكس ذلك في عدة مظاهر كتتمسكهم بلغتهم الروسية، واعتمادهم علي وسائل إعلام خاصة بهم يتم إصدارها باللغة الروسية كالصحف والجرائد والمجلات (٥٢ صحيفة باللغة الروسية) كجريدة الأخبار، وجريدة أخبار الأسبوع، وجريدة بلدن، وجريدة ٢٤ ساعة، وجريدة الصدى، ومجلة ألف، هذا بالإضافة إلى مسارح ومطاعم وحوانيت للطعام الروسي، وقناة تليفزيونية خاصة، وقاعات أفراح، ومكتبات. فالمهاجرون من الروس ملتزمون بشدة بالاستمرارية الثقافية الروسية ويتوقون للاحتفاظ بها، بل يشعرون بأنها أسمى وأرقى من الثقافة الإسرائيلية»^(١٥٤). وفي دراسة أجريت لاستطلاع رأي المهاجرين

(١٥٣) مواسي، حسن، اليهود الروس في «إسرائيل»... م.س.

(١٥٤) هبة جمال الدين، الدور السياسي للمهاجرين الروس في «إسرائيل»، جميع حقوق

النشر محفوظة لدى مؤسسة الأهرام، ٢٠٠٩/١٢/٨، 2010on accessed

الروس داخل «إسرائيل» حول محددات هويتهم الثقافية، «أعرب ٦٢٪ عن قناعتهم بأن الثقافة الروسية أعلى شأنًا من الثقافة الإسرائيلية، وكانت نسبة من يعتنق الثقافة الإسرائيلية من المهاجرين الروس لا تتجاوز ٦٪.... ويمكن تفسير سهولة ويسر استمرار الثقافة الروسية لدى المهاجرين الروس بأن هؤلاء المهاجرين هم أكبر جماعة إثنية في «إسرائيل» من حيث بلد المنشأ، حيث تواصل المهاجرون الجدد من الروس مع الإسرائيليين القدامى أصحاب الأصل الروسي. يضاف إلى ذلك برجماتية المهاجرين الروس الذين وصلوا إلى «إسرائيل» في حقبة التسعينيات، حيث كانت هجرتهم لأسباب مصلحة وليست أيديولوجية.... هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبته العلاقات الدبلوماسية النشطة بين «إسرائيل» والعديد من جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق حيث سّرت استمرار الروابط الثقافية والاجتماعية ببلادهم الأصلية. وقد أدرك المهاجرون الروس أن «الإثنية» مصدر للقوة، ويمكن استثمارها في ظل الهيكل الاجتماعي والثقافة السياسية السائدة داخل المجتمع الإسرائيلي. من هنا فشلت سياسة الاستيعاب التي حاولت «إسرائيل» اتباعها في مواجهة موجات الهجرة الروسية في حقبة التسعينيات، وكان المقابل هو تعامل المجتمع الإسرائيلي مع هذه الثقافة الروسية. ونتيجة لتقبل المجتمع الإسرائيلي للثقافة الروسية التي جلبها الروس إلى «إسرائيل» معهم كان الاعتراف بشرعية تنظيمهم السياسي، مما مكن الأحزاب الروسية من العمل على الساحة البرلمانية^(١٥٥).

ولذا فإن الهجرة الكثيفة من روسيا عزّزت وضعية اليهود في الكيان الصهيوني، وهي مؤثر على «أن الوزن الديموغرافي لليهود السوفيات داخل «إسرائيل» (١٥ - ١٨٪ من إجمالي السكان) يُعدّ أكبر نقلة ديموغرافية في تاريخ دولة الاحتلال، وإحدى أهم محطات تاريخها السكاني، ويمكن لنا أن نشبهها بوصول المدد إلى الجيش الإسرائيلي في حربه الديموغرافية ضد الفلسطينيين، سواء من الناحية العددية (هجرة مليون مستوطن خلال عقد

(١٥٥) م.ن.

من السنوات)، أو من الناحية المهنية نظراً إلى أن نسبة مرتفعة (٢٣٪) منهم تنتمي إلى الفئات المهنية المؤهلة للنهوض بأي مجتمع، كالأطباء والفنانين والمهندسين وعلماء الطبيعة والرياضيات والتربويين. ويكفي أن نعلم أن نسبة ذوي التعليم العالي لدى المهاجرين السوفيات سابقاً تفوق بأربعة أضعاف نظيرتها لدى بقية الإسرائيليين. والنتيجة أن ارتفعت نسبة المؤهلين أكاديمياً في «إسرائيل» لتقترب من ١٥٪ من إجمالي عدد السكان؛ لتصبح «إسرائيل» واحدة من أهم الدول التي تضم السكان «الأكثر مهارة» في العالم^(١٥٦). ومع ذلك فمن اللافت أيضاً أنه في «بداية التسعينيات حين هاجر مليون روسي إلى فلسطين بحجة أنهم يهود كانت «إسرائيل» تعني لهم الحلم الذي يشبه الحلم بالذهاب إلى أميركا، بل إن المواطنة في «إسرائيل» ستسمح لهم بالسفر إلى أميركا من دون فيزا، والحصول على شقة وسيارة وغيرها. فاستفاد الرعاع واللصوص والعالم السفلي من هذه التسهيلات على أفضل وجه فيما راح علماء الرياضيات وخبراء القانون والفلاسفة يعملون في النفايات وكس الشوارع في صورة أهانت الشهادات العلمية التي يحملونها»^(١٥٧).

الفاعلية على المستوى السياسي

ساهمت شخصيات قادمة من روسيا في تأسيس الكيان الصهيوني وقيادته مثل بن غوريون وهو صاحب تسمية الدولة العبرية الوليدة باسم «إسرائيل» ومن مؤسسيها الأوائل، وتولى رئاسة الحكومة تسع مرات، بدأت الأولى بقيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ وانتهت التاسعة في ١٩٦٣/٦/٢٦. وموشيه شاريت الذي تولى رئاسة الحكومة لسنة واحدة ١٩٥٤ - ١٩٥٥. وليفي أشكول الذي ولد في أوكرانيا عام ١٨٩٥ ثم التحق بـ«شباب صهيون» وهاجر إلى فلسطين عام ١٩١٤ وقاتل في الفيلق اليهودي في الحرب العالمية الأولى، كما كان له دور كبير في تأسيس جيش الدفاع الإسرائيلي، وكان أول مدير عام لوزارة الدفاع، وتولى رئاسة الحكومة لمدة ست سنوات.

(١٥٦) م.ن.

(١٥٧) ناصر اللحام، لا تسخروا من ليبرمان.. فهو رئيس الحكومة الإسرائيلية القادم، م.س.

وغولدا مائير وهي مواطنة روسية هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٥ وبعدها إلى فلسطين عام ١٩٢١، وتولت رئاسة الحكومة (١٩٦٩-١٩٧٤). ومناحيم بيغن الذي ولد في روسيا عام ١٩١٣ وسافر إلى بولندا عام ١٩٣٨ ثم إلى فلسطين عام ١٩٤٢، وانخرط في العصابات اليهودية المسلحة، وفي ١٧ أيلول ١٩٤٨ نفذ مذبحه دير ياسين، وشارك في نسف مقر القيادة البريطانية في نفس العام واغتيال الكونت السويدي فولك برنادوت المعين من قبل الأمم المتحدة وسيطاً للسلام في الشرق الأوسط. وانتخب بيغن رئيساً للحكومة للفترة بين عامي ١٩٧٧ و ١٩٨٣، وقاد خلالها المفاوضات مع المصريين التي أدت إلى توقيع معاهدة سلام.

بخلاف هؤلاء والموجات القديمة من المهاجرين التي أصبحت تعتبر جزءاً من التكوين الجوهري للكيان الصهيوني ، فإن صعوبة الاندماج السريع للموجات التي حصلت في مرحلة ما بعد انهيار الاتحاد السوفياتي أدت إلى تأسيس اليهود الروس القادمين من جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق «خلال محاولتهم للاندماج في المجتمع الإسرائيلي أحزاباً خاصة بهم، وتحديدًا نتان شيرانسكي الذي أقام حزب «يسرائيل بعلياه- إسرائيل المهاجرة»، وأفيغدور ليرمان الذي شكل حزب «يسرائيل بيتنا» وتحوّل اليوم إلى الحزب الثالث في «إسرائيل»، إلى جانب تأييد المهاجرين الروس لأحزاب فاعلة في الساحة السياسية الإسرائيلية، مثل «الليكود» و«كادима» و«العمل». «ومن المفيد الإشارة إلى أن المهاجرين الروس في «إسرائيل» يعيشون بشكل أساسي في مجموعة من التجمعات المدنية ويتركزون في الأحياء ذاتها. وبخلاف الهجرات السابقة بادر المهاجرون أنفسهم إلى إفادة مجتمعهم من خلال ترجمة قوتهم العددية إلى نفوذ سياسي واقتصادي. ولقد أسسوا أحزابهم السياسية التي فازت بمقاعد في البرلمان، وأسّسوا صحفاً عدة ... ولأسباب اقتصادية أصبح المهاجرون مصدر جذب للقطاعات الخاصة والعامة التي تزودهم بخدمات لا حصر لها بلغتهم»^(١٥٨).

(١٥٨) دونيتسا-شميت سمدار، السلوك اللغوي، الهوية الإثنية والتوجهات بين المهاجرين

وفي دراسة أجريت حول الدور السياسي للمهاجرين الروس لفتت الباحثة هبة جمال الدين إلى «أن اليهود الروس استطاعوا الاستفادة من ضخامة أعدادهم داخل المجتمع الإسرائيلي وما يتمتعون به من كفاءات عبر بلورتها في تكوين أحزاب سياسية إثنية حيث حصلت هذه الأحزاب على تأييد إثني لها من قبل الروس داخل إسرائيل. واستمر هذا التأييد على مدى ١٠ سنوات منذ بداية ظهورها»^(١٥٩).

وكان «اليهود الروس دخلوا الحياة السياسية في (إسرائيل)» على يد ناتان شارنسكي الذي هرب من الاتحاد السوفيتي إلى «إسرائيل» في الثمانينيات وشكل حزب «إسرائيل» المهاجرة وجاء بعده أفيغدور لييرمان»^(١٦٠). وفيما يتعلق بتطور الدور السياسي للمهاجرين الروس في «إسرائيل» فقد مرت «المشاركة السياسية لليهود الروس بمرحلتين: الأولى تبدأ من عام ١٩٨٩ حتى عام ١٩٩٢، واتسمت بانكفاء الروس على ذواتهم، فهي فترة اتسمت بالسكون شبه التام للمهاجرين الجدد. والثانية تبدأ من عام ١٩٩٢ حتى الآن، وأدى فيها المهاجرون الروس دوراً واضحاً، فخرجوا من حالة الانكفاء على الذات ليشاركوا في الحياة السياسية. وبدأت هذه المرحلة بمشاركة الروس في الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٩٢، فقد صوت ٦٠٪ من المهاجرين الروس لصالح معسكر اليسار لحزبي العمل وميرتس. وكانت هذه الانتخابات بمثابة شرارة البدء للمهاجرين الروس للانغماس في الحياة السياسية». لكن تنبغي الإشارة إلى أن هذه النسبة التي حصل عليها معسكر اليسار لم تكن مؤشراً على توجه الروس ناحية معسكر اليسار في «إسرائيل»... فقد استمر صعود الأحزاب الروسية، منذ أن تم تأسيس حزب بعاليا عام ١٩٩٦، حتى حصلت على نسبة ١٣,٣٣٪ من إجمالي

الروس في «إسرائيل»، في اللغة والهوية في «إسرائيل»، تحرير د محمد إمارة، مدار المركز الفلسطيني للدراسات، مؤسسة الأيام - رام الله فلسطين، ٢٠٠٢، ص: ١٤٤-١٤٥.
(١٥٩) هبة جمال الدين، الدور السياسي للمهاجرين الروس في «إسرائيل»، م.س.
(١٦٠) م.ن.

مقاعد الكنيست الإسرائيلي»^(١٦١). وتفيد المعطيات المتعلقة بدخول يهود الاتحاد السوفياتي السابق في «إسرائيل» إلى ميدان السباق الانتخابي أن التقدير النظري للقوة الانتخابية للجماعة الروسية يبلغ ما يعادل ٢٠ مقعداً في الكنيست (١٧-١٨ عند النظر في نسبة التصويت المنخفضة نسبياً). وتجدر الإشارة إلى أن هذه الجماعة هي تقريباً ذات طبيعة علمانية بالكامل. وقد تغيرت الأفضليات السياسية للجماعة أيضاً مع مرور الوقت. وظهر تأثيرها الهائل للمرة الأولى في انتخابات عام ١٩٩٢... ففي تلك الانتخابات يمكن تقسيم الجماعة التي تتحدث باللغة الروسية إلى قسمين: المهاجرون الذين بلوروا بالفعل آراءهم السياسية بوضوح، وصوتوا أساساً لأحزاب اليمين واليمين المتطرف، في حين أن الأغلبية صوتت لصالح حزب العمل، واتخذ هذا التصويت طابع الاهتمام بالرعاية الاجتماعية أكثر من الاهتمام بالجانب السياسي - وكان تصويتاً احتجاجياً على سوء معاملة الهجرة الجماعية في السنتين الأوليين. واستغل حزب العمل الإحباط الكبير الذي شعر به المهاجرون وقدم لهم وعوداً مفرطة في مجال الإسكان والرعاية الاجتماعية، والتي ثبت غياب الجزء الأكبر منها خلال فترة وجود حزب العمل في السلطة»^(١٦٢). وفي سياق تقييم دور اليهود الروس في السياسة أثار الكتاب التعليمي الجديد عن المواطنة الذي أصدرته وزارة التعليم الإسرائيلية ضجة بين اليهود الروس، الذين «يؤمن معظمهم بالمسيح وقسم كبير منهم ملحدون وليس لهم دين»، كما يتطرق الكتاب في الفصل ذاته إلى تفسير طبيعة تصويت المهاجرين من الاتحاد السوفياتي في الانتخابات الإسرائيلية وأنهم يصوتون لأحزاب عرقية روسية.^(١٦٣) كنتيجة لهذه الوضعية يشير بعض الباحثين إلى ازدياد «بروز البعد الإثني والطائفي في القوائم والأحزاب

(١٦١) هبة جمال الدين، الدور السياسي للمهاجرين الروس في إسرائيل، م.س.

(١٦٢) Arkadi Mazin، Russian Immigrants in Israeli Politics: The Past، the - Recent Elections and the Near Future، Friedrich-Ebert-Stiftung، Israel Office، 2006 و p: 9.

(١٦٣) ما هو الكتاب الذي أغضب اليهود الروس ولماذا؟، م.س.

في القطاع اليهودي إثر الهجرة المهمة عددياً لليهود الروس بعد عام ١٩٩٠، فقد برزت أحزاب المهاجرين الروس، مثل «إسرائيل» بالهجرة، و«إسرائيل بيتنا»، وقوائم أخرى على مستوى الانتخابات المحلية.^(١٦٤)

ولقد كشفت «الانتخابات الإسرائيلية التي أجريت في شباط ٢٠٠٩ عن قوة صاعدة داخل الساحة السياسية في «إسرائيل» ألا وهي المهاجرون الروس، فقد حصل حزب «إسرائيل بيتنا» لأول مرة في تاريخه على ١٦ مقعداً ليحتل المكانة الثالثة داخل «إسرائيل»، بعد كاديما والليكود وقبل حزب العمل.^(١٦٥) كما «استطاع الروس دعم أحزابهم الروسية بشكل جارف». والدليل على ذلك أنه في النصف الثاني من التسعينيات، عكست نتائج الانتخابات البرلمانية، حسب المناطق الإحصائية، تمتع الأحزاب الروسية بدعم ٦٠٪ من أصوات الجمهور الروسي الصالحة. كذلك مكنت السمات الثقافية التي يحملها المهاجرون الروس الأحزاب الروسية، التي تمثلهم وتعكس في طياتها تلك الثقافة، من زيادة قدرتهم على التواصل مع الفئة المسيطرة والحاكمة في «إسرائيل»، خاصة أن جذور النخبة المؤسسة للدولة الإسرائيلية تعود إلى روسيا. وإلى جانب القاسم الثقافي المشترك الذي يجمع فكر تلك الأحزاب يوجد التوجه العدائي للمهاجرين الروس والأشكناز ضد المجموعات الشرقية، وقد انعكس ذلك في برامج تلك الأحزاب... إن المهاجرين الروس باعتبارهم من الجنس الأشكنازي الأرقى يحملون العداء لليهود الشرقيين، وللعرب بشكل خاص. ثم إن «اليهود الروس حالياً لهم حزبهم الخاص (في حالة فريدة من المسيرة الحزبية الإسرائيلية) المسمى «إسرائيل بيتنا» والذي يحتل سبعة مقاعد في الكنيست، بزعامة أفيغدور ليبرمان، الذي اضطر أومرت لضمه إلى حكومته، وتسليمه واحدة من أهم الوزارات في «إسرائيل»: التخطيط الاستراتيجي»^(١٦٦).

(١٦٤) عبد القادر عبد العالي، التصدعات الاجتماعية وتأثيرها في النظام الحزبي الإسرائيلي، ص: ٢٣٤.

(١٦٥) ما هو الكتاب الذي أغضب اليهود الروس ولماذا؟ م. س.

(١٦٦) فايز رشيد، مستقبل اليهود الروس في المعادلة السياسية الإسرائيلية، صحيفة الوطن العمانية، ١٦/٩/٢٠٠٧.

ولا يتوقف الأمر عند الأحزاب والزعامات المتطرفة بل يصل إلى ظهور شخصيات مافياوية على الصعيد السياسي برزت في واجهة الأحداث، ويجري التركيز الإعلامي والسياسي عليها «كأركادي غايدماك، الذي أسس حزباً جديداً في «إسرائيل»، باسم (العدالة الاجتماعية) ! وللعلم فإن غايدماك هو ملياردير هاجر إلى «إسرائيل» منذ بضع سنوات، ويرتبط اسمه بالمافيا الروسية التي تتاجر بالمخدرات والأسلحة والرقيق الجنسي والمهن القبيحة الأخرى، والحائز على ثلاث جنسيات إضافة إلى الإسرائيلية، وهو مطلوب للعدالة في فرنسا، وهو حتى اللحظة لا يجيد اللغة العبرية. وعلى صعيد الرأي السياسي فإن غايدماك يعتبر نسخة مطورة بالنسبة لليبرمان، وأكثر ذكاء من الأخير: إن في توظيف ما يملكه من بلايين كثيرة في الحقل السياسي الإسرائيلي، أو في التوجه نحو عموم الإسرائيليين مستغلاً ما يعيشونه من تراجع في مستوى الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الدولة لهم، من خلال أداة حزبية (حزبه الجديد) تنتقل من الإجابة على القضايا المطلوبة في عملية العبور إلى الحياة السياسية، من خلال التسلح برأسمال قوي وقادر على عملية التوظيف»^(١٦٧). وكان غايدماك استضاف في تموز من العام ٢٠٠٧ أهالي مدينة سديروت، لمدة أسبوع، وعلى نفقته الخاصة، إلى منتجعات إيلات، لإراحة أعصابهم ونفسياتهم من الضيق الذي تسببه لهم صواريخ «الإرهابيين» الفلسطينيين. ومن حيث التوجه فإن حزب غايدماك يعتبر متمماً لحزب «إسرائيل بيتنا»،^(١٦٨). ويمكن القول «إن النفوذ المستمر والمتزايد للشرقيين والروس والمتشددين، له تأثير كبير على مستقبل «إسرائيل». فإن البلاد تصبح أكثر تحفظاً مع توجهها سياسياً إلى اليمين. وإن موقف «العرب الإسرائيليين» سيزداد سوءاً مع استمرار هذا التوجه. وقد اختير معظم الروس التمييز بشكل ملموس، ولكن نظراً لجودتهم العالية كرأس مال بشري فقد رُحّب بالعديد منهم في المجتمع الإسرائيلي المهيمن

(١٦٧) م.ن.

(١٦٨) م.ن.

بسرعة أكبر بكثير من الشرقيين. وبدأ التداخل يتطور بين الشرقيين والروس، حيث أصبحوا جميعهم معنيين بالسياسة الوطنية، كما أن القيادات والأحزاب التي تمثلهم أصبحت الآن أكثر تأثيراً في البلاد» (١٦٩).

الفاعلية على المستوى الاقتصادي

إن التحليل الاقتصادي والاجتماعي يبيّن أن الغالبية العظمى من المهاجرين من الاتحاد السوفياتي السابق ينتمون إلى الطبقة الوسطى والوسطى الدنيا، رغم أن متوسط مستواهم التعليمي عال. إذ إن الناطقين باللغة الروسية غير موجودين تقريباً في الفئات العليا، ويرجع ذلك أساساً لكون الغالبية العظمى من المهاجرين وصلت مؤخراً إلى «إسرائيل». وهناك الكثير من الفقر في وسط هذه الجماعة، وخصوصاً بسبب نسبة المتقاعدين العالية والأسر ذات المعيل الواحد. كما أن كثيراً من الأسر هي في مكان ما على الحدود بين الطبقة المتوسطة الدنيا والفقيرة. فهناك عدد قليل من المهاجرين حازوا وظيفة، الأمر الذي أسهم أيضاً في عدم الاستقرار الاقتصادي بين هذه الأسر. وتبلغ النسبة المئوية من أصحاب المنازل والسيارات وغيرها من المنتجات الثابتة حوالي ١٥-٢٠ في المئة من بين عامة السكان الإسرائيليين. وهذا التباين واضح خاصة عند الأسر المكونة من شخص واحد أو شخصين، ومعظمهم من الشباب ذوي معاشات الإعانة، والأزواج الشباب أو من الأسر ذات المعيل الواحد. (١٧٠)

يشير الدكتور جميل بغدادي في استعراضه لكتاب يتناول هجرة اليهود الروس («إسرائيل» أبعادها وأخطارها على الأمن القومي العربي) إلى أن «حوالي ٦٠٪ من المهاجرين الروس أكاديميون أي علماء ومهندسون وفنيون وأطباء، وقد أحدثت هذه الهجرة ثورة هائلة غيرت ملامح الاقتصاد

David Mizrahi EMANUEL: SEPHARDIC PRIDE OR PREJUD© - (١٦٩)
.Copyright Community Magazine, Powered by Blue Switch. ICE, 2013, p: 53

Arkadi Mazin, Russian Immigrants in Israeli Politics: The Past, the - (١٧٠)
.Recent Elections and the Near Future, p:9

الإسرائيلي بعدما أحدثت تطوراً في العديد من قطاعاته، ولا ينكر المسؤولون الاقتصاديون الإسرائيليون أن القدرات العلمية والتقنية والخبرة التي حملها المهاجرون الروس كانت أهم الأسباب في ذلك نتيجة تمايزهم الأكاديمي والمهني عن الوضع السائد في «إسرائيل»، إذ إن حوالي ٨٠ ألف مهاجر روسي جديد يعملون في الصناعات الإسرائيلية ويشكلون حوالي ٢٢٪ من العاملين في الصناعة»^(١٧١).

وتفيد المعلومات المتعددة أن المهاجرين الروس بعد انهيار الاتحاد السوفياتي هم على درجة عالية من التعليم ومجموعة من المؤهلين مهنيًا فكان لهم تأثير كبير على مختلف مجالات الحياة الإسرائيلية، بما في ذلك التطور السريع في الصناعات ذات التكنولوجيا المتقدمة والصناعات العسكرية، وكذلك نظم الرعاية التعليمية والثقافية والصحية، وافتتاح أسواق داخلية وخارجية جديدة^(١٧٢). وعلى ضوء ما توفر من معلومات عن فاعلية اليهود القادمين من روسيا على الصعيد الاقتصادي وعلى الرغم مما «أشيع عن هجرة اليهود السوفيات في عقد التسعينيات من أنها هجرة «مُعالة» تصدرها الشيوخ وكبار السن الذين أرسل بهم ذووهم لجمع المال (من خلال مزية صرف المعاش للعاطلين وكبار السن في «إسرائيل»)، فإن الثابت أن نحو ٦٥٪ من هؤلاء المهاجرين هم دون سن الخامسة والأربعين، ومن القادرين على العمل والعطاء»^(١٧٣). هذا إضافة إلى التأثير في جملة من المتغيرات على صعيد البنية الاقتصادية الإسرائيلية الداخلية، ومنها مثلاً أن «إسرائيل» أصبحت على مدى السنوات الأخيرة مقراً لمافيات روسية وعالمية كثيرة، ومصفاة لها في عمليات تبييض الأموال (وجود غايدماك القوي عمل على تأصيل هذه

(١٧١) جميل بغدادي، هجرة اليهود الروس إلى «إسرائيل» أبعادها وأخطارها، ٢٠١٢-
shamspress.com Copyright © 2012 All Rights Reserved، Powered by ٠٢

Syrian Monster Web Hosting Provider

Vladimir Khanin' (Ze'ev): Aliyah from the Former Soviet Union: (١٧٢)

.Contribution to the National Security Conference.7

(١٧٣) عاطف عبد الحميد، المستوطنون السوفيت سابقاً والحرب في فلسطين، م.س.

الظاهرة في «إسرائيل») مما سيطع الحياة السياسية الإسرائيلية بأتماط جديدة في علاقة رأس المال بالسلطة من خلال اليهود الروس ودورهم المتزايد، وتأثيرات ذلك بالمزيد من التطرف والفاشية في السياسة الإسرائيلية ومظهرها الرئيسي وهو الصراع الفلسطيني العربي - الصهيوني^(١٧٤).

وعلى المقلب الآخر نجد أنه «بعد نحو ٢٠ عاماً من موجة الهجرة الكبرى ليهود الاتحاد السوفياتي السابق ظهر جلياً بروز عدد من المشاكل شكلت صعوبات لهؤلاء القادمين الجدد أبرزها: عدم توفر أماكن عمل إذ إن هنالك صعوبة في تأمين أماكن عمل لهم حيث يفوق عدد العاملين من بين القادمين الروس ٤٠٠ ألف مهاجر، و ٣٣ بالمائة منهم فقط يعملون في مجال تخصصاتهم، علماً أن ٨٢ بالمائة من القادمين هم من حملة الشهادات العليا، منهم ١٠٧ آلاف مهندس، و ٢٥ ألف طبيب، و ١٤ ألف عالم، و ٢١ ألف ممرض وممرضة، و ٥ آلاف مدرس، و ٢٠٠٠ خبير اقتصادي وغيرها من المجالات. وبغض النظر عن مؤهلاتهم يعاني المهاجرون الجدد التمييز في الرواتب والضمانات الاجتماعية، حيث تتبع المؤسسات الإسرائيلية سياسة التمييز ضدهم ويقوم الكثير من المؤسسات المشغلة للروس بطردهم، بادعاء الإساءة إليها، وهناك مؤسسات ترفض استيعابهم أصلاً.^(١٧٥) ففي «سنوات ١٩٩٠ تمتع المهاجرون الجدد في البداية بشكل غير متوقع بأجور وفوائد مرتفعة ناجمة عن الخروج من حالة الفقر في المدن الإقليمية من روسيا وأوكرانيا. غير أن أوامهم «تبددت» سريعاً من الواقع القاسي. فاستئجار شقة في «إسرائيل» مكلف للغاية، ناهيك عن شراء شقة خاصة بك. ومع النمو المستمر في أسعار العقارات فإن الروس الإسرائيليين يضطرون إلى استئجار شقق صغيرة لعدة أشخاص»^(١٧٦). كما أن الدراسات الاستقصائية

(١٧٤) فايز رشيد، مستقبل اليهود الروس في المعادلة السياسية الإسرائيلية، م.س.

(١٧٥) مواسي، حسن، اليهود الروس في «إسرائيل»... م.س.

(١٧٦) Vladimir Khanin (Ze'ev), Aliyah from the Former Soviet Union, (١٧٦)

.Contribution to the National Security Conference P:7

التي أجراها علماء الاجتماع بين المهاجرين الروس في السنوات الأخيرة تبيّن بوضوح أن مستويات معيشة المهاجرين من روسيا ورابطة الدول المستقلة منخفضة حتى اليوم. وتبيّن دراسة أجريت «للبنية الاجتماعية ورفاه المجتمع» في أيلول ٢٠١١ أن ما يقارب ٨٠ في المئة من المستطلعين يعملون، و ١٣٪ يعيشون على الضمان الاجتماعي، ويوجد ٧,٥ في المئة فقط من رجال الأعمال. كما تبيّن أن ما يقارب ١٥ في المئة من المهاجرين الجدد يعملون بوظائف منخفضة الأجر. ونسبة ٣٦ في المئة من العدد الإجمالي للمهاجرين من الاتحاد السوفياتي السابق لا يملكون عقارات ويضطرون لاستئجار شقة أو غرفة، وكثير منهم يعيشون في شقق مستأجرة في المناطق الأكثر حرماناً، وبالأخص في جنوب «إسرائيل»^(١٧٧).

الفاعلية على المستوى العسكري

يرى أحد المختصين أن الهجرة من اتحاد الجمهوريات الروسية السابقة من نهاية الثمانينيات حتى الألفين «كانت من أكثر الهجرات نجاحاً في تاريخ «إسرائيل»، ولقد قدمت مساهمة كبيرة لهذه الدولة في مجال صناعة التكنولوجيا المتقدمة والفنون والرياضة، وأن المهاجرين الروس يقومون بخدمتهم في الجيش الإسرائيلي ضمن الوحدات الخاصة»^(١٧٨). وفي السياق ذاته «وبحسب قسم الدراسات في الجليل فإن المهاجرين الروس يتمتعون بنسبة ثقافة مهنية عالية مقارنة بالإسرائيليين وخصوصاً في مجال الصواريخ والأسلحة. وبالفعل فقد دخلوا إلى الجيش وأصبحوا مقاتلين شرسين وتولوا مناصب عليا ما يجعلهم أصحاب البقرة المقدسة»^(١٧٩).

ويرى الدكتور حنين في ورقته المقدمة لمؤتمر هرتسليا عام ٢٠١٠ أن «استيطان اليهود الروس في فلسطين يشكل ضماناً لبقاء «إسرائيل» ليس

Yuri -Semikhat Sosinsky ، How immigrants from former USSR live in (١٧٧)
Israel: Pravda.Ru. 02.05.2012

(١٧٨) أفيجدور ليرمان- وزير الخارجية- اليهود الروس ليسوا عملاء، صحيفة العرب القطرية ، نقلاً عن هآرتس، الجمعة ٢ نوفمبر ٢٠١٢ م.

(١٧٩) ناصر اللحام، لا تسخروا من ليرمان.. فهو رئيس الحكومة الإسرائيلية القادم، م.س.

على مستوى الزيادة العددية فحسب، وإنما على مستوى القوة الاقتصادية والعسكرية والتقنية التي وفرها المستوطنون الجدد». ويرى أنه من خلال الهجرة من الاتحاد السوفياتي السابق أصبحت هزيمة «إسرائيل» غير مأمولة، وأنها نجحت في الحفاظ على التوازن الديموغرافي التقليدي بين القطاعات اليهودية وغير اليهودية بنسبة ٢٠-٨٠ بالمئة. وينظر إلى هذا التوازن باعتباره عاملاً حاسماً لضمان وضعية «إسرائيل» كدولة يهودية، ليبرالية، وديمقراطية غربية». وقد «عززت الهجرة اليهودية الروسية خلال سنوات ١٩٩٠ وخلال أعوام ٢٠٠٠ قدرة الدفاع الوطني لدولة «إسرائيل»، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. فالمهاجرون الجدد يمثلون نسبة كبيرة جداً من الجنود في السنوات الأخيرة، ومن الضباط الذين يخدمون في جيش الدفاع الإسرائيلي، وقد حصل ارتفاع في معدل تمثيلهم في الوحدات القتالية والفنية... من ناحية أخرى فإن الهجرة اليهودية الكثيفة من الاتحاد السوفياتي ومن الدول المنضوية فيه بعد انهياره ساهمت في انخفاض آمال الزعماء العرب بهزيمة «إسرائيل» أو الإضرار بها كدولة يهودية انخفاضاً كبيراً» (١٨٠).

وقد أشار إلى أهمية هجرة اليهود الروس عسكرياً وزير الخارجية الإسرائيلي ليرمان الذي لفت إلى أن «الهجرة من اتحاد الجمهوريات الروسية كانت من أكثر الهجرات نجاحاً في تاريخ «إسرائيل»، ولقد قدمت مساهمة كبيرة لهذه الدولة في مجال صناعة التكنولوجيا المتقدمة والفنون والرياضة، وأن المهاجرين الروس يقومون بخدمتهم في الجيش الإسرائيلي ضمن الوحدات الخاصة» (١٨١).

Vladimir Khanin (Ze'ev): Aliyah from the Former Soviet Union: (١٨٠)
 .Contribution to the National Security.P:9

(١٨١) أفيجدور ليرمان - وزير الخارجية-اليهود الروس ليسوا عملاء، صحيفة العرب القطرية، نقلاً عن هآرتس، الجمعة ٢ تشرين الثاني ٢٠١٢.

خلاصة:

إن متابعي تأسيس الكيان الصهيوني وحركة التكتلات المجتمعية الوافدة إليه لاستيطانه يدركون سلسلة من المسائل التي أصبحت من البديهيات في تشكيل الكيان الصهيوني وهي تقوم على أمرين:

أولاً: اعتبار الوجود العربي الفلسطيني خطراً أساسياً يهدد وجود هذا الكيان. ما يؤدي على الدوام إلى محاولة دراسة طبيعة مخاطر هذا الوجود انطلاقاً من الطبيعة الديموغرافية لهذا الوجود وكيفية توزيعه، أو من حيث نسبة النمو السكاني، أو من جانب الميول والاتجاهات السياسية الجماعية وحتى الفردية تجاه طبيعة الكيان الصهيوني، ما يؤدي في كثير من الأحيان إلى اعتقال أفراد أو مجموعات فلسطينية تعتبر محرّضاً على الوجود الصهيوني بصيغته الصهيويهودية.

ثانياً: طبيعة التعاطي بين اليهود أنفسهم الموجودين في فلسطين المحتلة قبل إعلان الكيان الصهيوني، أو المستوطنين بعد قيام الكيان، من حيث وجود تباين بارز بين اليهود الشرقيين «السفارديم» - وهم يهود الدول العربية وبعض الدول الأفريقية كاليمن والعراق وسوريا ولبنان والسعودية وفلسطين ومصر وليبيا وتونس والجزائر والحبشة، وأكبر جالية يهودية هاجرت إلى فلسطين كانت من المغرب- وبين اليهود الغربيين «الأشكناز» - وهم اليهود الغربيون الذين هاجروا إلى فلسطين من دول أوروبا وبالأخص من بولونيا وألمانيا وروسيا^(١٨٢). وهذه الفئة من اليهود هي التي ساهمت بشكل رئيسي في تأسيس الحركة الصهيونية وتأسيس الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨. ويرى الباحثون أن التناقضات والتباينات بين الفئات المشكلة للكيان الصهيوني تضرب في عمق المجتمع الصهيوني. وفيما يتعلق باليهود الروس تحديداً فإن «عدداً كبيراً من الروس هم مهاجرون وليسوا «قادمين جدد» وهو التعريف الإسرائيلي للمهاجرين اليهود. كما أن عدداً لا يستهان

(١٨٢) عدنان عقله، اليهود الروس في الكيان الصهيوني، م.س.

<http://www.alwahdaalislamiya.net/39/adnan%20aklah.htm>

به منهم جاء من مركز الاتحاد السوفياتي سابقاً، حيث تم هدم الأطر الجماعية لليهود منذ زمن بعيد. ومما يثبت هذا الاستنتاج أنه بالاعتماد على أبحاث سابقة كان السبب الرئيسي في الهجرة لدى ٥٩٪ منهم اقتصادياً و ٢٠٪ منهم سياسياً. من هنا يبدو واضحاً أن هجرتهم كانت نتيجة ضائقة: فالخافز الرئيسي للهجرة، بين اليهود وغير اليهود من المهاجرين على السواء، هو البحث عن مستوى حياة أفضل.»^(١٨٣) أضف إلى ذلك أن الحكومة الإسرائيلية كانت على علم بـ«(لا يهودية)» كثير من المهاجرين السوفيات إلى «إسرائيل». وهذا ما أكده رئيس الحكومة الإسرائيلي الأسبق إسحق رابين في موسكو حين سأله أحد الصحفيين الروس: «هل تعلمون أن عدداً كبيراً من المهاجرين إلى «إسرائيل» من روسيا ليسوا يهوداً؟» أجاب رابين: «نعلم ذلك.. ولا تقلق عليهم، سوف يصبحون يهوداً!»^(١٨٤).

(١٨٣) عزيز حيدر، المهاجرون الروس، ملحق فلسطين - جريدة السفير، العدد ٢٦ - الجمعة ١٥ حزيران ٢٠١٢.

(١٨٤) عاطف عبد الحميد، المستوطنون السوفيات سابقا والحرب في فلسطين، م.س.

الهجرة إلى الكيان الصهيوني من الاتحاد السوفياتي السابق (١٩٤٨-٢٠١٠)

السنة	مجموع المهاجرين إلى الكيان الصهيوني	المهاجرون من الاتحاد السوفياتي السابق
	٣,٠٧٥,٢٢٩	١,٢٠٩,٢٦٤
٢٠١٠	١٦٦٣٣	٧١٥٨
٢٠٠٩	١٤٥٧٤	٦٩٤٨
٢٠٠٨	١٣٧٠١	---
٢٠٠٧	١٨١٣١	٦٦٤٣
٢٠٠٦	١٩٢٦٩	٧٤٦٩
٢٠٠٥	٢١١٨٣	٩٤٣١
٢٠٠٤	٢٠٨٩٩	١٠١٣٠
٢٠٠٣	٢٣٢٧٣	١٢٣٨٣
٢٠٠٢	٣٣٥٧٠	١٨٥٠٨
٢٠٠١	٤٣٤٧٣	٣٣٦٠١
٢٠٠٠	٦٠٢٠١	٥٠٨١٧
١٩٩٩	٧٦٧٦٦	٦٦٨٤٨
١٩٩٨	٥٦٧٣٠	٤٦٠٣٢
١٩٩٧	٦٦٢٢١	٥٤٦٢١
١٩٩٦	٧٠٩١٩	٥٩٠٤٨
١٩٩٥	٧٦٣٦١	٦٤٨٤٨
١٩٩٤	٧٩٨٤٤	٦٨٠٧٩
١٩٩٣	٧٦٨٠٥	٦٦١٤٥
١٩٩٢	٧٧٠٥٧	٦٥٠٩٣
١٩٩١	١٧٦١٠٠	١٤٧٨٣٩
١٩٩٠	١٩٩٥١٦	١٨٥٢٢٧
١٩٨٩	٢٤٠٥٠	١٢٩٣٢
١٩٨٨	١٣٠٣٤	٢٢٨٣
١٩٨٧	١٢٩٦٥	٢٠٩٦

1987	90.0	2.2
1980	1.742	362
1984	19981	367
1983	179.7	399
1982	13723	782
1981	12099	177.
1980	2.428	707.
1979	37222	17614
1978	27394	12192
1977	21429	8348
1976	19704	7279
1975	2.028	8031
1974	31979	17817
1973	04887	33477
1972	00888	31702
1971	4193.	12839
1970	3770.	992
1969	38111	3.19
1968	2.7.3	224
1967	14479	14.3
1966	10907	2.04
1965	31110	890
1964	00.37	041
1963	74489	314
1962	71033	194
1961	47730	224
1960	24792	1923
1909	23988	1372
1908	2729.	729

١٩٥٧	٧٢٦٣٤	١٣٢٤
١٩٥٦	٥٦٣٣٠	٤٧٠
١٩٥٥	٣٧٥٢٨	١٣٩
١٩٥٤	١٨٤٩١	٣٠
١٩٥٣	١١٥٧٥	٤٥
١٩٥٢	٢٤٦١٠	٧٤
١٩٥١	١٧٥٢٧٩	١٩٦
١٩٥٠	١٧٠٥٦٣	٢٩٠
١٩٤٩	٢٣٩٩٥٤	٣٢٥٥
١٩٤٨	١٠١٨٢٨	١١٧٥
	٣٠٧٥٢٢٩	١٢٠٩٢٦٤

- هذا التقرير يعتمد على بيانات مكتب الإحصاء المركزي.
- منذ العام ١٩٩٥ تتضمن البيانات الجمهوريات الآسيوية المنضوية في الاتحاد السوفياتي السابق.

المخططون الأوائل

- السير موشي مونتيغوري: (١٧٨٤ - ١٨٨٥) ثري ومالي يهودي بريطاني، زعيم الجماعة اليهودية في إنجلترا، من كبار المدافعين عن الحقوق المدنية لليهود في إنجلترا والعالم. ولد في بريطانيا لأسرة إنجليزية ذات أصول إيطالية سفاردية استقرت في إنجلترا في القرن الثامن عشر. حقق ثراءً سريعاً من عمله كسمسار في بورصة لندن، وارتبط بعائلة روتشيلد المالية الثرية من خلال المصاهرة، وقد ساعده ذلك في مجال عمله. وكان موشي من أوائل المشاركين في تأسيس البنوك الصناعية. وبعد أن حقق ثروة كبيرة من عمله اعتزل العمل في عام ١٨٢٤. وبعد ذلك كرّس موشي مونتيغوري جهوده للقضايا المرتبطة بأوضاع الجماعات اليهودية في شرق أوروبا والعالم الإسلامي. فزار مصر عام ١٨٣٨، وقدم لحاكمها محمد علي باشا خطة لتوطين اليهود في فلسطين، مقابل تأسيس البنوك في المدن الرئيسية في المنطقة لتقديم التسهيلات الائتمانية للمنطقة كلها. وزار فلسطين سبع مرات، وساهم في إنشاء بعض المستوطنات الزراعية في الجليل ويافا، وأنشأ بعض المشاريع الصناعية، كما أنشأ أول حي يهودي خارج أسوار مدينة القدس القديمة.

- اللورد شافتسبري: (١٨٠١ - ١٨٨٥) لورد شافتسبري السابع وهو اللورد أنتوني أشلي كوبر الذي اشتهر باسم «اللورد شافتسبري»، كانت تربطه علاقة قرابة مع بالمرستون وزير خارجية ورئيس وزراء بريطانيا باعتباره شقيق زوجة بالمرستون، إلى جانب التقاء أفكارهما حول مصالح بريطانيا الاستراتيجية في الشرق والاهتمام الديني بمستقبل اليهود. وكان شافتسبري يعتقد اعتقاداً عميقاً بالظهور الثاني للمسيح وظل هذا الاعتقاد إحدى القوى المحركة الدائمة في حياة اللورد الذي كان يقول عن نفسه: «أنا إنجيل الإنجيليين» وهو يعني بذلك أنه كرّس حياته من أجل رسالة دينية. أفصح شافتسبري عن مشروع أعده وأطلع

بالمستون عليه وهو الاستيطان اليهودي في فلسطين وتكثيفه. لم ينجح المشروع لكن صاحبه لم يعرف اليأس وهو صاحب الجملة المشهورة، «فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»، وقد أصبحت تلك الجملة في ما بعد أول الشعارات الصهيونية.

- **اللورد بالمستون:** (١٧٨٤ - ١٨٦٥) لورد بريطاني شغل عدّة مناصب في الإمبراطورية البريطانية منها وزير خارجية بريطانيا عام ١٩٣٠، ثم رئيس مجلس وزرائها حيث قام بتعيين أول قنصل بريطاني في القدس عام ١٨٣٨ وتكليفه منح الحماية الرسمية لليهود في فلسطين، كما طلب من السفير البريطاني في القسطنطينية التدخل لدى السلطان العثماني للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين.

- **لورنس أوليفانت:** (١٨٢٠-١٨٨٨) من نشطاء الحركة الصهيونية. كان عضواً في البرلمان الإنكليزي، وعمل أيضاً في السلك الدبلوماسي الإنكليزي، اعتقد بضرورة تخليص اليهود من الحضارة الغربية بتوطينهم في فلسطين، وذلك بإدخالهم كعنصر لإنقاذ الدولة العثمانية من مشاكلها الاقتصادية لما يتمتع به اليهود من ذكاء في الأعمال التجارية ومقدرة على جمع الأموال. ومن أجل ذلك قام في عام ١٨٨٠ بنشر كتاب بعنوان «أرض جلعاد» اقترح فيه إنشاء مستوطنة يهودية شرقي الأردن شمال البحر الميت لتكون تحت السيادة العثمانية بحماية بريطانية، وكذلك شجع استعمار اليهود في فلسطين والمناطق المجاورة عن طريق إقامة مستعمرات جديدة ومساعدة القائم منها.

- **البارون روتشيلد:** (١٨٤٥ - ١٩٣٤) ثري بريطاني. يعتبر إدموند دي روتشيلد، وهذا اسمه الكامل، أباً للاستيطان اليهودي المتجدد في أرض «إسرائيل» أيام الهجرة الأولى. أقام روتشيلد مستوطنات جديدة، وساعد المستوطنات القائمة عن طريق تقديم المعونات، وعن طريق بناء زراعة متطورة. بفضل مساهمته هذه نال لقب «السخي المشهور».

-ثيودور هرتزل: (١٨٦٠ - ١٩٠٤) ولد بالمجر سنة ١٨٦٠. أسس الحركة الصهيونية. وبلور فلسفته الصهيونية التي تلخص في: إن اليهود شعب؛ لا احتمال لبقاء حياة يهودية في المهجر؛ على اليهود العودة إلى أرض «إسرائيل» كشعب، وإقامة دولة يهودية ذات سيادة بشكل قانوني وبموافقة الدول الأوروبية. في سنة ١٨٩٧ عقد الكونغرس الصهيوني الأول في بازل. وكان ذلك أول مؤتمر لليهود من جميع دول الشتات حيث تمت صياغة «خطة بازل» التي تحدت فيها أهداف الصهيونية. انتخب هرتزل رئيساً للمنظمة الصهيونية حتى وفاته سنة ١٩٠٤، وقد قام الصهاينة في ما بعد بنقل رفاته إلى فلسطين سنة ١٩٤٩ بعد قيام الكيان بعام واحد.

